الطائفة الدرزية

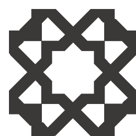
التاريخ والعقيدة والواقع

جمع وتنسيق

عبد الرحمن كيلاني

الطائفة الدرزية

التاريـخ والعقيدة والواقع

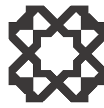


جمع وتنسيق

عبد الرحمن كيلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أرواح شهداء الشام



محرم ١٤٤٧ - تموز/يوليو ٢٠٢٥

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب

في زوايا الجغرافيا الجبلية لبلاد الشام، وعلى هامش التكوينات السياسية والروحية التي شكّلت التاريخ الإسلامي، نشأت طائفة غامضة في عقيدتها، كتومة في طقوسها، محايدة في صراعات الأمة، لكنها فاعلة في مسارات السلطة والسياسة... إنها الطائفة الدرزية.

منذ قرون والدروز يشكّلون لغزًا في العقل الإسلامي والعربي؛ فلا هم جماعة منقطعة تمامًا عن الإسلام، ولا هم في سَرب أهل السنّة والشيعة ظاهرًا وباطنًا. تراوحت مواقفهم بين التحفّظ والاندماج، وبين الانكفاء والمشاركة، وبين الولاء والصمت في لحظاتٍ مفصليةٍ من تاريخ المسلمين، من الغزو الصليبي والتتاري، إلى مرحلة الاستعمار الفرنسي، وصولًا إلى مواقفهم من الصهيونية في فلسطين ومن الثورة في سوريا.

هذا الكتاب ليس استجابة لفضول استشراقي ولا بحثًا في الهويات الغامضة حبًا في الغرابة، بل هو محاولة جادة لفهم هذه الطائفة فهمًا شاملًا، من **منابعها العقائدية في الإسماعيلية الباطنية**، إلى **عقيدتها التوحيدية المغلقة**، ثم إلى **دورها في التاريخ السياسي والعسكري لبلاد الشام**، وصولًا إلى **وضعها المعاصر وتعاملها مع قضايا الأمة**.

ولأن الوصول إلى الحقيقة لا يكون بالسرد وحده، فقد سلك هذا الكتاب منهجًا مزدوجًا:

فهو من جهة **يعرض التاريخ والوقائع بتوثيقٍ وتحليلٍ أكاديميٍ موضوعي**، معتمدًا على مصادر درزية، وإسلامية، وغربية.

ومن جهة أخرى، **يستحضر المنهج العقدي لأهل السنة والجماعة**، ليبيّن الموقف الشرعي من العقيدة الدرزية، كما قرّره علماء الإسلام من قديم وحديث، من ابن تيمية إلى إحسان إلهي ظهير.

وليس الهدف من هذا الكتاب إصدار الأحكام المجردة أو تأجيج الفتن، بل المقصود هو **البيان العلمي المنصف**، الذي يضع الأمور في نصابها، ويكشف للباحث والقارئ الفطن **كيف انبثقت هذه الطائفة، وما الذي تؤمن به، وأين وقفت من قضايا الإسلام الكبرى**.

إن دراستنا هذه تأتي في زمن اشتدّ فيه الخلط بين العقائد، واستُبدلت فيه الحقائق التاريخية بالروايات السياسية، وتراجعت فيه معايير الحكم الشرعي أمام دعاوى "الاختلاف المشروع" و"التنوع الطائفي"، حتى صار من اللازم **تجديد المعرفة، وتحرير الوعي، وبيان الموقف بميزان العلم والدين معًا**.

فليكن هذا الكتاب **نافذة علمية وشرعية** على طائفةٍ حيّةٍ في الجغرافيا والتاريخ، لكنها مغلقة في عقيدتها ومواقفها... نافذة نرجو أن تنير فهمًا، وتفتح بصيرة، وتبني جسرًا بين الحقيقة والعدل.

منهج البحث وبنية الكتاب

ينتهج هذا الكتاب مسارًا **تحليليًا توثيقيًا نقديًا**، يوازن بين أدوات البحث الأكاديمي من جهة، والرؤية العقدية لأهل السنة والجماعة من جهة أخرى. وقد تم التعامل مع المصادر بمراعاة تنوّعها ومرجعياتها، بحيث تشمل:

- **المصادر الدرزية الأصلية** (مثل رسائل الحكمة والمرويات الخاصة بالطائفة)؛
- **كتب التاريخ الإسلامي العام** من مؤرخين مثل الذهبي، ابن الأثير، المقريزي، وغيرهم؛
- **الدراسات الغربية الحديثة** التي تناولت الطائفة من زاوية اجتماعية وسياسية؛
- **كتابات أهل السنة والجماعة** التي ناقشت عقيدة الدروز والإسماعيلية وبيّنت موقف الإسلام منها، خصوصًا ما كتبه ابن تيمية وإحسان إلهي ظهير وآخرون.

وقد قُسّم الكتاب إلى أبواب وفصول تغطي :**النشأة العقائدية، الخلفية الإسماعيلية، البناء الفكري للدروز، مسارهم التاريخي، ثم وضعهم السياسي والاجتماعي الحديث، وأخيرًا الموقف الشرعي منهم.**

الباب الأول

الجذور والبيئة الفكرية

(١)

النشأة العقائدية للإسماعيلية – الجذور والدوافع والخلفيات

ظهرت الإسماعيلية كإحدى الفرق الباطنية التي انشقت عن التيار الشيعي الإمامي، لكنها ما لبثت أن تطورت إلى تيار عقائدي وتنظيمي مستقل له بنية فكرية ومذهبية خاصة، واتخذ في بعض مراحله طابعًا سياسيًا سريًا هدف إلى تقويض الخلافة العباسية السنية، بل وهدم الإسلام من الداخل، بحسب ما يورده عدد من علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة. وقد مثّل هذا التيار – لا سيما في أطواره الباطنية الثورية – البيئة التي انبثقت منها العقيدة الدرزية لاحقًا في القرن الخامس الهجري.

ولكي نفهم كيف تشكلت هذه العقائد، لا بد من الرجوع إلى جذور الإسماعيلية نفسها، وتحليل دوافعها الفكرية والسياسية، والبحث في أصولها العقدية، وارتباطها بالفكر الغنوصي والفلسفي القديم، بل ووجود شبهات تاريخية حول اختراقها من قبل عناصر يهودية ومجوسية أرادت النيل من الإسلام.

أولًا: الجذور التاريخية والفكرية للإسماعيلية

بدأت الإسماعيلية كتيار داخل التشيع الإمامي، حين انقسم الشيعة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق (١٤٨هـ) إلى طائفتين:

- **الاثنا عشرية** التي رأت أن الإمامة انتقلت إلى ابنه موسى الكاظم.
- **الإسماعيلية** التي تمسكت بأن الإمامة في إسماعيل بن جعفر أو في ابنه محمد بن إسماعيل، رغم أن إسماعيل توفي في حياة أبيه.

لكن هذا الخلاف لم يكن خلافًا في النسب وحده، بل كان بوابة لتطور فكري وعقدي خطير، إذ سرعان ما اتجهت الإسماعيلية إلى التأويل الباطني للنصوص، ورفض ظاهر الشريعة، وتبني أفكار فلسفية وغنوصية متأثرة بميراث اليونان والفرس والهنود، بل وحتى ببعض أفكار الأديان الشرقية القديمة.

وابتداءً من القرن الثالث الهجري، تطورت الإسماعيلية في بيئات سرية وتنظيمات دعوية محكمة، اتخذت من العراق واليمن وبلاد فارس مراكز لنشاطها، وكان هدفها المعلن هو نشر "العلم الباطني"، وهدفها السياسي هو إسقاط الخلافة العباسية السنية.

ثانيًا: البعد الباطني والفلسفي

تميزت العقيدة الإسماعيلية في مراحلها المتقدمة بطابعها الباطني، القائم على فكرة أن لكل ظاهر باطنًا، وأن الشريعة الإسلامية – من صلاة وصيام وحج – إنما هي رموز وإشارات إلى معانٍ أعمق لا يدركها إلا الخاصة. ومن هنا فقد أسقطت كثيرًا من أركان الإسلام، بزعم الوصول إلى "العقل النوراني" و"العلم اللدني."

وقد تأثرت الإسماعيلية في ذلك بالفكر الغنوصي (*gnosticism*) ، وهو مزيج من الديانات الشرقية والفلسفات القديمة، يؤمن بأن العالم المادي شر، وأن النجاة تكون بالمعرفة الباطنية، ويقسم الناس إلى طبقات: خاصة وعامة، عقلاء وجهلاء.

كما تأثرت بالفلسفة اليونانية، خاصة أفكار أفلاطون وأفلوطين في "الفيض" و"العقول الكلية"، وهو ما يتضح في نظريتهم عن العقول العشرة وانبثاق الكون عن "العقل الأول"، ويظهر ذلك بجلاء في كتاباتهم اللاحقة كرسائل إخوان الصفا، والدعوة الفاطمية، ورسائل الحكمة التي اعتمدها الدروز.

ثالثًا: التنظيم السري ومحاولة تقويض الدولة الإسلامية

منذ القرن الثالث الهجري، تطورت الحركة الإسماعيلية إلى تنظيم سري باطني يهدف إلى نشر أفكاره في الخفاء، مع التدرج في كشف العقيدة للأتباع وفق سبع درجات من الكتمان.

وقد أنشأ هذا التنظيم شبكة من الدعاة، يُرسلون إلى مناطق متفرقة، يدعون الناس سرًا، ويبنون النظم الفكرية والهرمية الخاصة بهم. وظهر من قادتهم أسماء بارزة مثل: الحسن بن الصباح، الذي أسس ما عرف لاحقًا بـ"الحشاشين"، وهي جماعة إسماعيلية نزارية قامت بعمليات اغتيال سياسي منظم ضد خصومهم من أهل السنة.

وفي شمال إفريقيا، أسسوا الدولة الفاطمية التي انطلقت من المغرب سنة ٢٩٧هـ، ثم استولت على مصر سنة ٣٥٨هـ، وأصبحت مركزًا للإسماعيلية، ومنها خرجت الدعوة الدرزية لاحقًا.

رابعًا: العلاقة باليهود والمجوس

اتهم كثير من علماء المسلمين قادة الإسماعيلية بأنهم على علاقة بالباطنية الفارسية القديمة، وبأنهم امتداد للفكر الزندقي الذي استهدف الإسلام من داخله. ومن أشهر من قال بذلك:

- **الإمام أبو حامد الغزالي**، في كتابه *فضائح الباطنية*، حيث وصفهم بأنهم ليسوا أهل دين، بل أصحاب سياسة يخدعون العوام باسم الدين، بينما لا يؤمنون بشيء منه.
- **إحسان إلهي ظهير**، الذي توسع في بيان العلاقة بين الإسماعيلية والمجوسية، بل واتهم اليهود والفرس بالوقوف وراء هذا التنظيم الباطني لتقويض الإسلام، مؤكدًا أن الحركات السرية التي استخدمت التأويل والشعارات البراقة إنما استهدفت هدم الدين لا خدمته.

ويؤيد هذه النظرة أن كثيرًا من المؤسسين الأوائل للإسماعيلية – كعبد الله بن ميمون القداح – كانوا ذوي أصول مشبوهة، وأن التنظيم نفسه تطور بأساليب تشبه المنظمات السرية الفارسية القديمة، كـ"الدهقانة"، كما

استفادوا من أساليب اليهود في التدرج والتعليم الهرمي وحصر "العلم" في النخبة.

خامسًا: أثر هذه العقيدة في ظهور الدروز

كانت البيئة التي نشأت فيها الدعوة الدرزية في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي بيئة إسماعيلية باطنية متطرفة، كانت تؤله الخلفاء سرًا، وتعتبرهم تجليات للفيض الإلهي.

ومع مجيء "حمزة بن علي" و"محمد بن إسماعيل الدرزي"، انبثق من هذا التيار فرقة جديدة تعتبر الحاكم تجليًا لله تعالى، وتنكر أركان الإسلام، وتؤمن بالناسوت واللاهوت، وتقول بالتناسخ والحلول، وهي الأفكار التي أصبحت جوهر العقيدة الدرزية.

***

إن العقيدة الإسماعيلية – في جوهرها الباطني الفلسفي – مثلت أحد أخطر الانحرافات الفكرية في التاريخ الإسلامي، لأنها تظاهرت بالإسلام بينما نقضت أركانه، وادعت العلم بينما نشرت السرية، واتخذت من الدين وسيلة للوصول إلى الحكم والسيطرة. وقد كان لها الدور الأكبر في تمهيد الطريق لنشأة الطائفة الدرزية، التي تمثل مرحلة متقدمة من هذا الانحراف الباطني.



المصادر والمراجع

- أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية.
- إحسان إلهي ظهير، الشيعة والقرآن، والشيعة وأهل البيت، والشيعة والتشيع، دار الاعتصام.
- محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي،
- مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية.

- Bernard Lewis, *The Assassins: A Radical Sect in Islam*.
- Farhad Daftary, *The Isma'ilis: Their History and Doctrines*.

- *Ismaili Thought in the Classical Age*. Edited by S. H. Nasr & M. Aminrazavi.

(٢)

الدولة الفاطمية ومهد الدعوة[1]

نشأة الدولة الفاطمية والإسماعيلية – الحاكم بأمر الله وظروف عصره

لم يكن ظهور الدعوة الدرزية حدثًا مفاجئًا في تاريخ الفرق الإسلامية، بل جاء تتويجًا لتطور طويل ومعقد داخل الفكر الباطني الإسماعيلي، وفي سياق سياسي ديني بالغ الحساسية، هو عهد الدولة الفاطمية في ذروتها. لذا، فإن فهم نشأة الدولة الفاطمية ومسار العقيدة الإسماعيلية يُعد مدخلًا لا غنى عنه لفهم التربة التي نبتت منها الدعوة التوحيدية الدرزية لاحقًا.

في أواخر القرن الثاني الهجري، وبين ثنايا المراحل المضطربة التي مرّت بها الدولة العباسية، كانت هناك حركة باطنية تنمو في الخفاء، تنتقل من بلد إلى آخر، وتحمل مشروعًا متكاملًا يقوّض الخلافة العباسية من الداخل. هذه الحركة عُرفت لاحقًا باسم **الإسماعيلية،** وهي فرقة شيعية انفصلت عن التيار الجعفري بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، حين تمسّك أتباعها بإمامة ابنه إسماعيل رغم وفاته في حياة والده، وزعموا أن الإمامة انتقلت من بعده إلى ابنه محمد بن إسماعيل، ليصبح هو الإمام السابع، والممهّد لمرحلة "الغيبة" و"الدعوة السرية."

تميّزت الدعوة الإسماعيلية، منذ بدايتها، بالطابع السرّي والتنظيم الهرمي المحكم، حتى غدت أقرب إلى البناء الدعوي الحركي منها إلى الفرقة المذهبية المحدودة. وكانت **مدينة سَلَمية في بادية الشام** المركز الأساسي لانطلاق هذه الدعوة، حيث نشط فيها دعاة عُرفوا بالتخطيط والتقية، من أبرزهم **ميمون**

---

[1] انظر بحثنا في موقع: مجلة الفسطاط التاريخية: لمحة تاريخية عن الدولة العبيدية.

القداح وابنه **عبد الله**، الذين يُعدّان المؤسسين الحقيقيين لما سُمّي لاحقًا بالخلافة الفاطمية.

لكن قبل قيام الدولة، عرفت هذه الدعوة انشقاقات داخلية كثيرة، مثل فرقة القرامطة الذين اتخذوا من البحرين قاعدة لهم وقادوا تمردات دموية ضد الدولة العباسية، حتى إنهم سرقوا الحجر الأسود من الكعبة. كما ظهرت تيارات أخرى حاولت استقلال الدعوة في الكوفة والبصرة واليمن وخراسان، ما يدل على أن البيئة الشيعية في تلك المرحلة كانت خصبة للغليان والانقسام والتأويل الباطني المتطرف.

وفي هذا السياق المضطرب، ظهر رجل يُدعى **سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح**، الذي غيّر اسمه لاحقًا إلى **عبيد الله المهدي**، وزعم أنه من نسل فاطمة الزهراء، متحدر من علي بن أبي طالب. كانت هذه النسبة مشكوكًا فيها، وقد طعن فيها كثير من علماء أهل السنة والمحققين، لعدم اتصال نسبه العلوي وثبوت انتمائه إلى القداح، وهو رجل من موالي الفرس.

خرج عبيد الله من سَلَمية متنقلًا بين الشام ومصر حتى وصل إلى بلاد المغرب، وهناك أسّس دولته بعد أن كسب ولاء قبائل **كتامة** البربرية. في سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، أعلن قيام **الدولة الفاطمية**، ولقّب نفسه بالخليفة المهدي، مدعيًا أنه الإمام المستور الذي ظهر بعد الغيبة، وبه تبدأ مرحلة جديدة من الإمامة العظمى على منهاج التأويل الباطني.

كان اختيار المغرب بعيدًا عن بغداد والشام، وعن مراكز القوة السنية، خيارًا ذكيًا تكتيكيًا، مكّن الفاطميين من بناء سلطتهم بعيدًا عن الاصطدام المباشر مع العباسيين، مع بقاء مشروعهم التوسعي قائمًا في العمق. وقد أسّس عبيد الله **مدينة المهدية** على ساحل تونس، وجعلها عاصمة لدولته الوليدة، وأرسل الدعاة إلى مصر واليمن، في مسعى لنشر المذهب الإسماعيلي وتهيئة الأرض للفتح القادم.

وقد وُجهت لهذه الدولة، منذ ولادتها، **اتهامات خطيرة من علماء الأمة وعقلائها**، فاعتُبرت **خروجًا صريحًا عن الإسلام**، لأنها قامت على أساس نسب باطل، وتأويل منحرف للقرآن، ودعوة إلى تعطيل الشريعة. قال الذهبي

في سير أعلام النبلاء" :هم زنادقةٌ، مَجوسٌ، كَفَرةٌ، لا يُقيمون للشريعة وزنًا، ولا يرون للقرآن ظاهرًا، وقد لبّسوا على الناس باسم آل البيت ."وسماهم كثير من المؤرخين بـ"العبيديين" لا "الفاطميين"، لنفي انتسابهم إلى فاطمة رضي الله عنها.

وقد خاض الفاطميون عدة صراعات دامية مع العباسيين في تونس والقيروان، لكنهم تمكنوا من تثبيت أقدامهم. وبعد أكثر من ستين عامًا، وفي عهد الخليفة **المعز لدين الله الفاطمي**، قرروا تنفيذ مشروعهم الأكبر: دخول مصر، قلب العالم الإسلامي. فقاد المعز جيوشه من المهدية، وتمكن من دخول مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وأسس فيها **مدينة القاهرة**، التي صارت عاصمة الدولة الجديدة، وبنى فيها الجامع الأزهر، الذي تحوّل إلى منبر لنشر الفكر الباطني الإسماعيلي، وتعليم العقائد غير السنية.

في هذا العهد، بدأ الفاطميون بإظهار التسامح الديني ظاهريًا، والتوسع في الشرق الإسلامي سياسيًا، مع استمرارهم في بناء العقيدة الإسماعيلية التي تعطل الظواهر الشرعية وتؤمن بأن الدين له "باطن" لا يعلمه إلا الإمام المعصوم. ومن هذا المنطلق، جعلوا من الإمام هو "الناطق باسم الله"، ومن الدعاة وسطاء للوحي، وفرضوا مراتب صارمة في التلقي والمعرفة.

بعد المعز، حكم الخليفة **العزيز بالله**، وهو أول من جمع بين نسب يهودي (من جهة الأم) والتساهل في محاباة النصارى واليهود في جهاز الدولة. تلاه ابنه **الحاكم بأمر الله** سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، وكان عمره حينها لا يتجاوز ١١ عامًا، لكنه أصبح لاحقًا الشخصية الأكثر إثارة للجدل في تاريخ الدولة الفاطمية، بل في تاريخ الإسلام السياسي والعقدي عمومًا.

الحاكم بأمر الله جمع بين الغرابة في التصرفات، والتقلب في العقائد، والبطش الشديد، حتى ظنه البعض إلهًا، ورفعه أتباعه إلى مرتبة الربوبية. وقد أصدر قرارات غريبة، مثل منع النساء من الخروج، ومنع أكل بعض الأطعمة، وتحريم بعض المذاهب، ثم الرجوع عن كل ذلك فجأة. وقد هدم كنيسة القيامة في القدس، ثم أمر بإعادة بنائها لاحقًا. هذه الازدواجية جعلت عهده من أكثر العهود اضطرابًا في الدولة الفاطمية.

وفي خضم هذا التقلّب السياسي والعقدي، وُلدت الدعوة الدرزية، على يد رجال كانوا من قلب النظام الفاطمي، أبرزهم **حمزة بن علي بن أحمد** و**محمد بن إسماعيل الدرزي**، الذين أعلنوا أن الحاكم بأمر الله ليس خليفة فقط، بل **تجلٍّ إلهي في صورة بشر**، وأنه نزل إلى الأرض ليُظهر التوحيد الباطني الأعظم.

من هنا تبدأ قصة الطائفة الدرزية، لا كامتداد صافٍ للفكر الإسماعيلي، بل كانت انشقاقًا وتأويلاً جديدًا وصل إلى التأليه الصريح، وإلغاء التكاليف، وإغلاق باب الدعوة لاحقًا، وهي أمور سنفصّلها في الفصل القادم.



الباب الثاني

العقيدة الدرزية – عرض ونقد

قد يُفاجأ القارئ حين يعلم أن أتباع الطائفة الدرزية لا يسمّون أنفسهم بالدروز، بل يرون في هذه التسمية تحريفًا تاريخيًا لا يمتّ إلى حقيقتهم بصلة. فهم يفضّلون أن يُدعَوا باسم **"أهل التوحيد "**أو **"الموحدين"**، ويطلقون على دعوتهم اسم **"الدعوة التوحيدية"**، في إشارة إلى العقيدة التي يزعمون أنها تمثل جوهر التوحيد، وفهمه العميق الباطني الخالص من الشرك والتشبيه. [1]

غير أن هذا الادعاء بالتوحيد سرعان ما ينهار أمام أي دراسة تحليلية جادة للعقيدة التي تبنّوها منذ القرن الخامس الهجري، والتي تستند إلى أساسات

---

[1] **أصل التسمية "الفرقة التوحيدية":** يطلق الدروز على أنفسهم اسم **"أهل التوحيد "**أو **"الموحدون"**، ويقولون إنهم أصحاب دعوة توحيد خالصة، لا تقوم على التشبيه ولا التجسيم، ولا تتبع ظاهر النصوص، بل تسعى إلى "التوحيد العقلي الباطني المطلق". وقد سُمّيت دعوتهم عند أتباعهم بـ **"الدعوة التوحيدية"**، وكتبهم العقائدية – كـ *رسائل الحكمة* –مليئة بتأكيد هذا الاسم.

أما التسمية الشائعة **"الدروز"**، فهي مشتقة من اسم **محمد بن إسماعيل الدرزي**، وهو أحد الدعاة الأوائل الذين نشروا عقيدتهم، لكنه شخصية مثيرة للجدل، وقد أنكروه لاحقًا. لذلك فإنهم – من الداخل – **يرفضون هذا الاسم** ويعتبرونه "تسمية خارجية" لا تعبّر عن جوهر العقيدة.

لماذا يدّعون التوحيد وهم يقعون في الشرك؟ من منظور **أهل السنة والجماعة**، فإن ادّعاء التوحيد لا يكفي ما لم يكن **موافقًا للوحي والشرع** .فالدروز:

- **يؤلّهون الحاكم بأمر الله**، ويزعمون أنه "تجلٍّ إلهي في صورة بشر"؛
- **ينكرون أركان الإسلام الظاهرة** (الصلاة، الصيام، الحج، الزكاة)؛
- **يعتمدون التأويل الباطني** للقرآن والسنّة، إلى درجة إسقاط النصوص وإلغائها؛
- **يؤمنون بالتناسخ**، وهو عقيدة شركية تنكر اليوم الآخر والبعث والحساب.

لذا، فإن توحيدهم – كما أوضحه **علماء الإسلام من أهل السنة** –هو **"توحيد فلسفي غنوصي باطني"** لا صلة له بالتوحيد الذي جاء به الأنبياء، بل هو توحيد أقرب إلى الفلسفة الإشراقية الهندية أو الأفلاطونية، يُسقط صفات الله، وينفي أفعاله، ويجعل التوحيد فكرة عقلية باطنة تتجلى في "الإمام الإلهي."

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عدة من كتبه إن القائلين بوحدة الوجود "أكفر من اليهود والنصارى، بل من المشركين"، وأنهم "أنكروا الخالق المباين لخلقه"، وزعموا أن "الرب هو كل شيء"، وهذا عنده أعظم الكفر بالله، وأبعد ما يكون عن حقيقة التوحيد كما جاءت بها الرسل. (انظر: مجموع الفتاوى ١٧١/٢، ٣٦٥)، درء تعارض العقل والنقل ١٩٠/٧).

الخلاصة:

تسميتهم بـ"الموحدين" لا تعكس توحيدًا شرعيًا حقيقيًا، بل هي:

- إما **محاولة تضليل داخلية** لصبغ العقيدة بمظهر إسلامي؛
- أو **مفهوم فلسفي باطني منحرف** عن التوحيد الرباني.

باطنية غنوصية، ورؤية فلسفية تنقض أصول التوحيد الشرعي الذي جاء به الأنبياء. فـ"التوحيد" الذي تتحدث عنه رسائل الحكمة الدرزية ليس هو التوحيد الذي دعا إليه نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ، بل هو توحيد مفرّغ من الأسماء والصفات، منزوع من التشريع والتكليف، مؤسس على **تأليه الحاكم بأمر الله**، و**إنكار الشريعة الظاهرة**، و**تقديس الباطن على حساب الوحي**.

لقد ذهب أتباع الدعوة التوحيدية إلى الاعتقاد بأن الله – تعالى عن قولهم – قد تجلّى في شخص الحاكم بأمر الله، فأنكروا بذلك ربوبية الله المتعالية، وجعلوا من الخليفة الفاطمي بشرًا إلهيًا تُعلّق عليه الطاعة، وتسقط عنده العبادات، وتتحقق عبره النجاة.

ومن هنا جاءت المفارقة :**كيف يُسمّون أنفسهم أهل التوحيد، وهم في جوهر دعوتهم قد وقعوا في أعظم أبواب الشرك؟**

وقد نبه إلى هذا التناقض كبار علماء المسلمين، فقال **شيخ الإسلام ابن تيمية:**

"هؤلاء القوم المسمَّون بالنصيرية والإسماعيلية كفّارٌ بإجماع المسلمين... يدّعون الإسلام، وهم أكفر من اليهود والنصارى، بل من كثير من المشركين... يعتقدون أن الله يحل في أئمتهم، ويقولون باتحاد الوجود، ويكفّرون سائر المسلمين، ويُبطلون شرائع الإسلام ظاهرًا وباطنًا."[١]

وفي ضوء ذلك، فإن هذا الباب من الكتاب لا يكتفي بعرض العقيدة الدرزية من الداخل، اعتمادًا على رسائل الحكمة وهي الكتاب المقدّس لدى الطائفة، بل ينتقل إلى تحليل منهجي نقدي يبيّن كيف انحرفت هذه العقيدة عن أصول الإسلام، وكيف استُبدلت الشريعة بالتأويل، والعبادة بالتناسخ، والوحي برموز باطنية مغلقة لا سبيل إلى فهمها إلا عبر طبقة من "العُقّال" يدّعون امتلاك الحقيقة الكاملة.

---

[١] مجموع الفتاوى، ٣٥/١٦١-١٦٥.

إن دراسة عقيدة الطائفة الدرزية ليست مجرد فضول فكري، بل هي مسؤولية علمية وعقدية، خاصة مع شيوع الخطاب الإعلامي والسياسي الذي يصوّرهم كـ"موحدين" و"فرقة إسلامية أصيلة"، بينما يكشف التحقيق أنهم أقرب إلى الغنوصية الفلسفية الباطنية منهم إلى أي عقيدة إسلامية صحيحة.

وسنتناول في هذا الباب، بتفصيل متأنٍ، العقيدة الدرزية من مصادرها الأصلية، ثم نضعها في ميزان **العقيدة الإسلامية الصافية**، كما قررها القرآن والسنة، وكما بيّنها علماء أهل السنة والجماعة، لنصل إلى بيان الحق، وإقامة الحجة، وإنصاف التاريخ والعقيدة معًا.



(٣)

العقيدة الدرزية من الداخل – عرض وتحليل

تشكلت العقيدة الدرزية في بيئة فكرية ودينية شديدة التعقيد، في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس، ضمن سياق الدولة الفاطمية التي تبنّت المذهب الإسماعيلي الباطني. وعلى الرغم من أن الدروز يُرجعون أنفسهم إلى دعوة التوحيد التي أعلنها الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٨ هـ، فإن الجذور العقائدية لهذه الدعوة أعمق بكثير، وتحمل بصمات متعددة من تيارات فلسفية وروحية متنوعة. ففي قلب الجبال الوعرة، وبين غموض النصوص وطبقات الكتمان، نشأت عقيدة الطائفة الدرزية، المعروفة في أدبياتها باسم "**العقيدة التوحيدية**"، لكنها في جوهرها منظومة فلسفية باطنية تستمد جذورها من الفكر الإسماعيلي العبيدي، وتتمايز عنه بتأليه شخص الحاكم بأمر الله، وإنكار أركان الشريعة الإسلامية الظاهرة، واعتماد التقمص أساسًا لفهم المصير الإنساني. ويُعدّ المصدر الأساسي لهذه العقيدة هو ما يُعرف بـ"رسائل الحكمة"، وهي مجموعة من النصوص التي كُتبت خلال فترة الدعوة الدرزية بين عامي ٤٠٨ و٤٣٤ هـ، على يد حمزة بن علي بن أحمد ورفاقه، وتُعدّ النص المؤسس والمرجعي الذي بلور العقيدة الدرزية في صورتها النهائية، المليئة بالرمزية والتأويل الباطني، والمنفصلة عن السياق الإسلامي العام.

وفي هذا الفصل، نحاول أن نعرض **جوهر العقيدة الدرزية من الداخل**، مستندين إلى نصوصهم الأصلية قدر الإمكان، ومن ثم نمهّد للباب التالي الذي سنقارن فيه هذه العقيدة **بميزان القرآن والسنة**، كما قرّره علماء أهل السنة والجماعة.

أولًا: المصدر العقائدي – رسائل الحكمة

تتكون رسائل الحكمة من نحو ١١١ رسالة (بعض المصادر تقول ١١١، وأخرى ١٥٧)، نُسبت إلى مؤسسي الدعوة التوحيدية، وأبرزهم:

- **حمزة بن علي بن أحمد** –يُعدّ العقل المُؤسس، ويُلقّبونه بـ"هادي المستجيبين."
- **بهاء الدين السموقي** –يُعرف بأنه كاتب الرسالة الأخيرة.
- **إسماعيل التميمي التنوخي** –أحد الدعاة الأساسيين.
- **الحسين بن حمدان الخصيبي**[١] و**محمد بن وهب القرشي** –من أركان المرحلة الأولى من الدعوة.

وتمتاز هذه الرسائل بلغة رمزية عالية، غارقة في الغموض والتأويل، وتُمنع تلاوتها أو دراستها على "الجهّال" من أبناء الطائفة. ولا تزال الرسائل محفوظة ضمن سرية دينية محكمة، ولا يُسمح للعامّة من الدروز بالاطلاع عليها إلا بعد "تدرج روحي" يمر عبر طقوس البيعة والانخراط في طبقة **العُقّال**.

ثانيًا: المراتب الدينية – الجُهّال والعُقّال

المجتمع الديني الدرزي مقسوم إلى فئتين:

- **الجُهّال** :وهم عامة الناس، لا يُسمح لهم بالاطلاع على العقيدة الكاملة، ويُعاملون كمن يعيش في الظلمة، يُؤمَر بالامتثال والطاعة دون معرفة التفاصيل.

---

[١] يعدّ الخصيبي (ت ٣٤٦هـ) من أبرز رموز المرحلة التمهيدية السابقة على انطلاق الدعوة الدرزية العلنية، وهو مؤسس المدرسة النصيرية في الشام والعراق، وهو ممن مهد الأرضية الفكرية للدعوات الباطنية اللاحقة، ومنها الدعوة الدرزية، رغم اختلاف التسلسل العقائدي والزمني. لمزيد من التفصيل عن الخصيبي، انظر: ترجمة تاريخية لمؤسس الفرقة النصيرية (العلوية)، بحث مترجم بقلم يارون فريدمان منشور في:
مجلة الفسطاط التاريخية: الحسين بن حمدان الخصيبي

- **العُقّال** :وهم الخاصة الذين أُجيز لهم الاطلاع على "الحكمة"، ويعيشون حياةً فيها قدر من الزهد والانضباط، وهم الذين يملكون سلطة تأويل النصوص وتوجيه الجماعة.

ولا يُقبل أحد في طبقة العُقّال إلا بعد أداء "الميثاق" أمام مجلس من الشيوخ، يشمل التزامًا بالصمت، وعدم كشف أسرار العقيدة، حتى لأقرب الناس إليه.

هذا التقسيم ليس تنظيميًا فقط، بل هو جوهري في فهم طبيعة العقيدة الدرزية، التي ترى أن الحقيقة لا تُعطى للكل، بل تُحتجب عن العامة، ولا تُسلّم إلا للنخبة التي "استنارت."

ثالثًا: أركان العقيدة الدرزية

العقيدة الدرزية لا تتبنى أركان الإسلام كما نعرفها في الشريعة الإسلامية، بل تضع مكانها خمسة أركان مختلفة، كلها معنوية وباطنية:

١. **الصدق في القول**
٢. **حفظ الإخوان في الدين**
٣. **ترك عبادة ما سوى الله** (بحسب فهمهم الخاص للتوحيد)
٤. **البراءة من الأعداء** (والمقصود بهم كل من لا يدخل في العقيدة)
٥. **الرضا بفعل الله**

ومن اللافت أن هذه الأركان لا تشمل الصلاة ولا الصيام ولا الزكاة ولا الحج، بل تُعتبر هذه التكاليف **"مجازية" أو "باطنية"**، ويُقال إن ظاهر الشريعة كان مناسبًا لعصور الجهل، أما عصر "الحكمة" فقد ارتقى إلى الحقيقة الباطنة.

رابعًا: موقفهم من الشريعة الإسلامية

يؤمن الدروز أن الشريعة الظاهرة – بما فيها الصلاة والصيام والحج – **ليست من لوازم العقيدة في عصرهم**، بل هي أحكام نُسخت بالدعوة الجديدة. ويُؤكّد في رسائلهم أن التكليف الظاهري سقط، وأن المطلوب هو

"العبادة العقلية الباطنية"، التي تتجلى في طاعة الإمام الحاكم ومعرفة مراتب الحكمة.

وقد جاء في رسالة **الغاية والنصيحة** المنسوبة إلى **حمزة بن علي** ما يفيد أن من **أنكر مولاه في عصره**، أو **تردد في تسليم الأمر له**، فهو من أهل الخسران، ولا تنفعه أعماله الظاهرة."[١]

خامسًا: تأليه الحاكم بأمر الله

انطلق التكوين الأولي للعقيدة الدرزية من رحم الفكر الإسماعيلي، لا سيما في جانبه الباطني الذي يقوم على تأويل النصوص وتأليه الأئمة، ومنحهم مقامًا علويًا شبه إلهي. وقد تبنّى الدروز هذا التأليه بشكل أكثر وضوحًا مع شخصية الحاكم بأمر الله، إذ اعتبروه تجليًا إلهيًا في صورة بشرية، في تحول عقائدي غير مسبوق حتى في الإسماعيلية نفسها. وكانت نقطة التحول الجوهرية في العقيدة الدرزية حين أعلن بعض دعاة الدعوة، وعلى رأسهم حمزة بن علي ومحمد بن إسماعيل الدرزي، أن الحاكم بأمر الله ليس مجرد إمام أو خليفة، بل هو الله المتجلي في صورة إنسان. هذا القول الجريء أدى إلى افتراق الدروز عن الإسماعيلية، واعتزالهم الناس، وانغلاقهم على أنفسهم ضمن منظومة عقائدية سرّية. ويُعدّ هذا التأليه أخطر انحراف في العقيدة الدرزية، إذ يُعتقد أن الحاكم لم يُقتل أو يُغتل، بل "غاب وسيعود"، وأنه هو "الكلمة"، و"العقل الكلّي"، و"مظهر التوحيد"، كما تصرّح بعض رسائلهم بأن "الله ظهر في صورة بشر"، وأن الحاكم بأمر الله هو النور الذي به تبصر العقول، وهو الذي تجلى في الهياكل الطاهرة، وهو الذي به يُعرَف الحق من الباطل.[٢] هذا الاعتقاد لا يُخفى عن طبقة العُقّال، بل يُعتبر من المسلّمات العقائدية لديهم، وإن كان يُحجب عن الجُهّال والعامة، في إطار نظام طبقي صارم يفصل بين من يحق له معرفة الأسرار ومن يُمنع عنها، مما رسّخ البنية الباطنية المغلقة للعقيدة الدرزية منذ نشأتها وحتى اليوم.

---

[١] رسائل الحكمة، ١/١٠٢-١١٧.

[٢] انظر رسالة الغيبة ضمن رسائل الحكمة، ١/٢٧٥-٢٨٣.

سادسًا: عقيدة التناسخ

العنصر الأشد خصوصية في العقيدة الدرزية هو الإيمان ب"**التقمص**" أو "**التناسخ**"، أي القول بانتقال الروح بعد الموت إلى جسد آخر، في دورة لا نهائية تهدف إلى اكتمال المعرفة واتحاد النفس مع "العقل الكلّي." وبهذا المفهوم، تُلغى العقائد الإسلامية التقليدية المتعلقة باليوم الآخر، والبعث، والجنة والنار، والحساب، إذ يرى الدروز أن الجنة هي "**الحكمة**"، والنار هي "**الجهل**"، وأن الحساب يتم داخل النفس لا في الآخرة، حيث تُكافأ الأرواح أو تُعذّب بحسب حالها في تقمصها الجديد. وقد استُبدل بذلك الإيمان بالمعاد، مما جعل العقيدة تخرج عن أصول الإسلام، وتقترب من منظومات روحية شرقية كالهندوسية والزرادشتية، التي انتقلت إلى بعض التيارات الباطنية في التاريخ الإسلامي، وشكّلت أرضية فلسفية لعقيدة درزية تقوم على الغموض، والرمزية، والتأويل الباطني العميق.

الخلاصة

تكوّنت العقيدة الدرزية كمزيج مركّب من عناصر إسماعيلية باطنية، وأفكار غنوصية وفلسفية، وتعاليم مستمدة من ديانات شرقية قديمة، تم صهرها داخل مشروع ديني–سياسي يهدف إلى حكم النخبة باسم "التوحيد". وقد انطلقت هذه الدعوة في سياق طموح ثوري ضمن الدولة الفاطمية، لكنها ما لبثت أن انغلقت على ذاتها بعد فشل مشروعها السياسي، فتحوّلت إلى فرقة سرّية غامضة، تقطع نفسها عن سائر المسلمين، وتحتفظ بعقيدتها في كتبها الخاصة المعروفة ب"رسائل الحكمة"، التي لا تُتاح إلا لطبقة "العُقّال." وتكشف هذه العقيدة – من خلال مصادرها الأصلية – عن منظومة مغلقة تقوم على التأويل الباطني، والتدرج الطبقي، وإنكار ظاهر الإسلام وأركانه، وتأسيس لفكرة النخبة التي تمتلك الحقيقة دون سائر الخلق. فهي ليست مجرد "اختلاف مذهبي" أو "فهم خاص"، بل تمثل انفصالًا كاملًا عن العقيدة الإسلامية، وإن بدت في بعض السياقات منفتحة أو متسامحة، فإن هذا الانفتاح لا يتجاوز القشرة الاجتماعية، بينما تظل البنية العقائدية محصّنة خلف طبقات من السرية والكتمان، لا تُكشف إلا لمن اجتاز مراتب التلقي والولاء.

ومع أن هذه العقيدة تتوارى وراء "أهل التوحيد"، إلا أنها – كما سنرى في الباب التالي – تقف على الضد تمامًا من **توحيد الأنبياء، وشريعة الإسلام، وعقيدة أهل السنة والجماعة**.



المصادر والمراجع

- ابن خلدون .المقدمة .دار الفكر، بيروت.
- ابن كثير .البداية والنهاية .دار الفكر، بيروت.
- رسائل الحكمة – طبعة دار "لأجل المعرفة"، لبنان، ١٩٨٦.
- سامي مكارم. أضواء على مسلك التوحيد الدرزية، الدار التقدمية، ط٢، ٢٠١٠.
- عبد الرحمن بدوي .مذاهب الإسلاميين .دار القلم، الكويت، ١٩٨٢.
- كمال الصليبي، تاريخ الدروز السياسي
- محمد عبد الله عنان. الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية.

- Daniel De Smet. *La pensée ésotérique d'Ismaëlisme à la Druzisme*. Peeters Publishers, 2002.
- Farhad Daftary, *The Ismailis: Their History and Doctrines*
- Henry Corbin. *History of Islamic Philosophy*. Translated by Liadain Sherrard, Kegan Paul International, 1993.
- Nader Hashemi and Danny Postel (eds.). *Sectarianization: Mapping the New Politics of the Middle East*. Oxford University Press, 2017.

(٤)

الدروز في ميزان أهل السنة والجماعة

بعد أن عرضنا في الفصل السابق العقيدة الدرزية من مصادرها الأصلية، بات من الضروري أن ننتقل إلى **الميزان العقدي الإسلامي**، لنقف على حقيقة هذه العقيدة كما فهمها **علماء أهل السنة والجماعة**، باعتبارهم الحصن الأمين للعقيدة الربانية، وحملة منهج النبوة في تقرير التوحيد، وتحقيق الاتباع، وحراسة الدين من التحريف والغلو.

وقد تميّزت الأمة الإسلامية – في قرونها الأولى – بوضوح في التصور العقدي، فكل من انحرف عن التوحيد، أو عطّل النصوص، أو ابتدع في الأصول، وُوجه بالردّ والبيان، لا حقدًا ولا عصبية، بل **غَيرةً على التوحيد، ورحمةً بالأمة، وإنصافًا للحق** .وعلى هذا النهج سار علماء المسلمين في مواقفهم من الفرق الباطنية عمومًا، والدعوة الدرزية خصوصًا.

أولًا: موقف العلماء من الفرق الباطنية عمومًا

لقد كانت **الفرق الباطنية**، وعلى رأسها الإسماعيلية والقرامطة والدروز، محل إجماع بين علماء أهل السنة في كونها **خطرًا على العقيدة والأمة** .وذلك لأنها:

- تُعطّل ظاهر الشريعة، وتزعم أن النصوص لها "باطن خفي لا يعلمه إلا الإمام أو الداعي."
- تؤلّه البشر أو ترفعهم إلى منزلة العصمة أو الألوهية.
- تنكر أركان الإسلام، أو تُحيلها إلى رموز وتأويلات.
- تعتمد السرية والتقية والكتمان، وتنشئ ولاءً موازياً للأمة والجماعة.

قال الإمام **الذهبي** عن العبيديين (الفاطميين):

"وكانت الدولة العُبيدية في مصر رافضيةً، باطنيةً، فيهم زندقةٌ، ولهم وزراء يُظهرون الرفضَ ويُبطنون الكفر المحض."[1]

وكان **ابن الجوزي** أكثر صراحة حين قال عن الباطنية:

"ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض... يبغضون الشريعة، ويقولون: لها ظاهر وباطن، ويؤولون جميع الأوامر والنواهي الشرعية إلى ما يوافق أهواءهم."[2]

وهذا الحكم شمل أفرع الإسماعيلية، والقرامطة، ومن تفرّع عنهم لاحقًا كالدروز.

ثانيًا: حكم الدروز عند علماء أهل السنة

تعدّ الطائفة الدرزية في نظر علماء الإسلام **فرقة باطنية خارجة عن الإسلام**، لأسباب مجتمعة، أبرزها:

١. **إنكار الشريعة والتكليف الظاهري**، فلا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج.

٢. **اعتقادهم بتناسخ الأرواح**، وهو قول يخالف صريح القرآن الكريم في البعث والحساب والجنة والنار.

٣. **تأليه الحاكم بأمر الله**، أو القول بأنه تجلٍّ للذات الإلهية.

٤. **سرّية العقيدة واحتكار المعرفة الدينية** داخل طبقة العُقّال.

٥. **البراءة من المسلمين كافة ممن لا يدخل في دعوتهم.**

وقد نقل الإمام **ابن تيمية** أحكامًا صريحة في هذا السياق، فقال:

"هؤلاء القوم المسمّون بالنصيرية، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، ضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين كالتتار، وهم دائمًا يُوالون الكفار من المشركين وأهل

---

[1] سير أعلام النبلاء، ١٥١/١٥.

[2] تلبيس إبليس، ص ٩٩، تحقيق محمد أبو العباس.

الكتاب على المسلمين، وهم مُرتدّون عن دين الإسلام، ليسوا من المسلمين، لا يقرّون بوجوب صيام رمضان، ولا حج البيت، ولا تحريم ما حرّم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرها."[1]

ثم قال عن **الدروز** أيضًا:

"وكذلك الدروز، فإنهم من النصيرية، وهم أكفر منهم عند من يعرفهم. وهم لا يُقرّون ببعث ولا بجنة ولا نار، ولا بفروض الإسلام، ولا تحليل حلاله، ولا تحريم حرامه، ولا يوجبون الصلوات ولا الصيام، ولا غير ذلك من واجبات الإسلام، ولا يُحرّمون الفواحش ولا الخمر، بل هم من أضلّ الناس."[2]

وهذا الحكم ليس خاصًا بابن تيمية، بل أقرّه من بعده علماء كبار، كالذهبي، وابن القيم، والشاطبي، والسيوطي، وغيرهم.

ثالثًا: موقف إحسان إلهي ظهير

كان الدكتور **إحسان إلهي ظهير** من أبرز علماء العصر الحديث الذين تصدّوا للفرق الباطنية، وخصّ الدروز بفصول نقدية حادّة في كتبه، مثل الباطنية، والبهائية، والإسماعيلية.[3]

كما اعتبر ظهير أن خطر الدروز لا يقل عن خطر الصهيونية في بعض المواطن، لأنهم – بحسب قوله – يعيشون بين المسلمين، **ويخفون كفرهم وعداءهم للأمة** تحت ستار السرّية والانغلاق.

رابعًا: الفرق بين "الجهّال" و"العُقّال" في الحكم

يتساءل البعض: هل الحكم بالكفر يشمل كل أفراد الطائفة، بمن فيهم الجُهّال الذين لا يعرفون تفاصيل العقيدة؟

جواب العلماء في هذه المسألة هو أن **الحكم على الفرقة شيء، والحكم على الأفراد شيء آخر:**

---

[1] مجموع الفتاوى، ٣٥/١٤٩-١٥٠.

[2] مجموع الفتاوى، ٣٥/١٦١-١٦٢.

[3] انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص٧٢٢-٧٣٣. إدارة ترجمان السنة، كراتشي، باكستان.

- فالفرقة تُحكم بكفرها إذا ثبت انحرافها العقدي الظاهر.
- أما الأفراد، فيُراعى فيهم الجهل، والتأويل، والإكراه، ويُدعون إلى الحق بالحكمة والبيان.

لكن مع ذلك، فإن من ثبت **أنه يعرف عقيدة الطائفة، ويؤمن بها، ويدافع عنها**، فإنه **يأخذ حكمها في الردة والخروج من الملة**، كما قرر أهل العلم.

خامسًا: هل الدروز مسلمون؟

في ميزان أهل السنة والجماعة، الجواب واضح وصريح: **لا، الدروز ليسوا من المسلمين، ولا يدخلون في دائرة أهل القبلة، ولا تُجري عليهم أحكام الإسلام في الزواج والميراث والذبائح والدفن.**

بل يجب **الدعوة إلى هدايتهم**، وبيان بطلان معتقدهم، وتحذير الأمة من خطر فكرهم، دون ظلم ولا افتراء، ولكن **بحزم في العقيدة، ورحمة في الدعوة**.

الخلاصة

إن موقف أهل السنة من الطائفة الدرزية لا ينبني على تعصّب أو عداء شخصي، وإنما هو **موقف علمي شرعي** قائم على دراسة العقيدة، ومقارنة القول بالفعل، وتحقيق الموازنة بين النصوص والمصادر. وليس في الإسلام حكم يُبنى على الشبهة أو الاتهام، وإنما يُبنى على **البيّنة والبرهان**.

وقد ثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن العقيدة الدرزية تخرج بأصولها وفروعها عن دائرة الإسلام، وأن التوحيد الذي تدّعيه ليس هو التوحيد الذي جاء به الرسل، بل هو شرك في التوحيد، وكفر بالرسالة، وتبديل للدين.

وفي الباب التالي، سنواصل دراسة المسار التاريخي للطائفة، لنفهم كيف ترجمت هذه العقيدة نفسها في المواقف السياسية والعسكرية، من العصر الفاطمي إلى غزو الشام، ومن الحروب الصليبية إلى عصر العثمانيين.



المصادر والمراجع

- ابن الجوزي، تلبيس إبليس
- ابن القيم، مدارج السالكين
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجلدات ٢٨ و٣٥
- إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد
- الذهبي، سير أعلام النبلاء
- الشاطبي، الاعتصام

الباب الثالث

التاريـخ السياسي والعسكري للطائفة

(٥)

الانتشار الجغرافي وبناء الهوية المحلية

بعد أن غاصت جذور العقيدة الدرزية في باطن التأليه والسرّية، بدأت هذه الدعوة الباطنية بالتحرك على مسرح الجغرافيا، تبحث عن مواطن حصينة تحفظ بقاءها وتحميها من رياح الرفض والارتياب. لم تكن نشأة الدروز كفرقة دينية منفصلة حدثًا لحظيًا، بل نتجت عن **سلسلة من التراكمات العقائدية والسياسية والتنظيمية**، كان المسرح الجغرافي لها هو **بلاد الشام**، لا سيما جبال لبنان وسهول الشام الجنوبية.

أولًا: التراجع من مصر إلى بلاد الشام

مع نهاية الدولة الفاطمية وتراجع نفوذ الإسماعيلية في مصر، انهارت البيئة الحاضنة للدعوة الدرزية. وبما أن المذهب الدرزي كان أكثر تطرّفًا وتأليهًا للحاكم بأمر الله من غيره، فقد أصبح خطرًا حتى على حلفائه السابقين. فبدأ الدروز **ينزحون من مصر باتجاه الشمال**، حاملين معهم تراثهم السري ومكتوباتهم العقائدية، يتلمسون مواضع الأمان والانعزال.

وكانت **جبال لبنان الجنوبية**، ذات التضاريس الوعرة والصعبة، البيئة المثالية لهم، حيث يمكنهم ممارسة شعائرهم بعيدًا عن أعين السلطة والعلماء. ومنها تمددوا إلى **جبل الدروز جنوب سوريا**، وإلى مناطق محدودة في الجليل الأعلى شمال فلسطين، وبعض قرى حوران شرقي الأردن.[١]

---

[١] يتوزع الدروز في الأردن في عدد من المناطق، لكن أبرز تجمعاتهم تتركز في:
الأزرق (قضاء الأزرق الشرقي):

- **يُعد المركز الرئيسي للدروز في الأردن**، ويُعرف محليًا باسم "أزرق الدروز."
- استقر فيه الدروز منذ أوائل القرن العشرين، خاصة بعد الثورة السورية الكبرى.
- يضم ديوان بني معروف، ويُعتبر القلب الاجتماعي والروحي للطائفة في المملكة.

أم القطين (محافظة المفرق):--

ثانيًا: الجغرافيا بوصفها ملجأً عقديًا وسياسيًا

اختار الدروز مناطق وعرة الجغرافيا، لسببين رئيسين:

١. **الحماية من الاختراق العقدي والدعوي** :إذ إن انغلاق البيئة الجبلية صعّب على دعاة أهل السنة الوصول إليهم، كما صعّب على الفقهاء والعلماء مناقشتهم.

٢. **التمكين لسلطتهم المحلية** :حيث تمكنوا من فرض نمطهم الاجتماعي والسياسي الخاص، القائم على "الحكم العُقّالي"، وتوارث القيادة ضمن العائلات المؤسسة.

وقد ساعدهم هذا الانغلاق الجغرافي على **بناء هوية خاصة بهم،** ليس فقط دينيًا، بل اجتماعيًا وثقافيًا. فقد امتنعوا عن الزواج من غيرهم، ورفضوا إدخال الغرباء في دعوتهم، وبنوا نظامًا طبقياً داخليًا يُميز بين "العُقّال" و"الجهّال"، ويمنع غير العُقّال من الاطلاع على تفاصيل العقيدة أو كتبها.

ثالثًا: تشكّل الهوية الدرزية في الجبل

لم يكتفِ الدروز بالانعزال الجغرافي، بل سعوا لتكوين **نظام اجتماعي مغلق** ومتماسك يحفظ عقيدتهم ويمنع الذوبان. وقد أسهمت عدة عوامل في ذلك:

- بلدة تقع شمال شرق الأردن، قرب الحدود السورية.
- كانت تاريخيًا تابعة لجبل العرب قبل اتفاقية سايكس–بيكو.
- تضم عائلات درزية عريقة مثل الصفدي والبريحي.

العاصمة عمّان

- يتواجد الدروز في مناطق مثل **الجبل الأخضر**، **لواء ماركا**، وبعض أحياء **الزرقاء والرصيفة**.
- انتقلوا إليها تدريجيًا منذ تأسيس الإمارة، خاصة من سوريا ولبنان وفلسطين.

مناطق أخرى

- **وادي السرحان** :استقر فيه بعض الدروز القادمين من جبل العرب.
- **عجلون** :توجد تجمعات صغيرة في المرتفعات الشمالية.
- **العقبة** :بعض الأسر الدرزية تقيم في المدينة الساحلية جنوبًا.

- **الزواج الداخلي فقط**، وعدم قبول أي مسلم أو غير مسلم في صفوفهم، مهما أبدى من رغبة.
- **السرّية التنظيمية**، إذ لا تُسلَّم كتبهم الدينية إلا للعُقّال، وتُمنع قراءتها أو نسخها أو تداولها خارج الدائرة.
- **الإيمان بالتناسخ**، الذي جعل الموت ليس نهاية، بل انتقالًا إلى جسد جديد، مما يعزز الهوية الداخلية والولاء للجماعة.

ومع مرور الوقت، تحولت هذه الهوية إلى **كيان شبه سياسي**، قادر على عقد التحالفات، وخوض الحروب، وتقرير الولاء والبراء السياسي، ضمن منطق العصبية المذهبية.

رابعًا: العلاقة مع الجوار السنّي

منذ تشكّل التجمعات الدرزية في الجبال، اتّسمت علاقتهم مع الجوار السنّي بالتوجّس، لا سيما أن علماء الشام كانوا **يرفضون عقيدتهم**، ويُحذرون من تأثيرهم الفكري والسياسي. ومع ذلك، شهدت بعض المراحل تحالفات اضطرارية أو مصالح عابرة، خصوصًا في مواجهة قوى غازية أو أطماع خارجية.

لكن ظلّ الدروز على نهجهم في **رفض الاندماج** مع المجتمع الإسلامي العام، محافظين على انفصالهم الديني والاجتماعي والسياسي. وكانوا يُقدّمون أنفسهم في بعض الأحيان كـ"أبناء الجبل" لا كفرقة دينية، تهرّبًا من النقد العقدي.

خامسًا: رموز القيادة المحلية

ظهر في هذه المرحلة عدد من الزعامات الدرزية التي ساعدت على **تثبيت هوية الطائفة الجبلية**، وتولّت الحكم والإدارة في مناطقهم، من أبرزهم:

- **آل جنبلاط** في جبل الشوف، الذين جمعوا بين الزعامة السياسية والدور المذهبي.
- **آل أرسلان**، الذين نافسوا الجنبلاطيين على زعامة الجبل، وخاضوا صراعات سياسية محلية.

- **الشيخ فخر الدين المعني الثاني**، الذي سيكون له فصل خاص لاحقًا، لدوره الكبير في التوسع السياسي والحروب الإقليمية.

وسنرى لاحقًا كيف تطور الدور السياسي لهذه العائلات، وتحولت من مجرد زعامات جبلية إلى قوى إقليمية تفاوض العثمانيين، وتتحالف أو تتصارع مع الأمراء المحليين.

الخلاصة

مثّلت مرحلة الانتشار الجغرافي وبناء الهوية الدرزية لحظة التأسيس الحقيقي لوجودهم السياسي والاجتماعي. فقد تحولت الطائفة من مجرد جماعة باطنية مطاردة، إلى **كيان مغلق متمركز في الجبل**، يملك مقومات البقاء والاستقلال النسبي، ويتفاعل بحذر مع القوى المحيطة.

وقد هيّأت هذه المرحلة الأرضية التي سيقف عليها الدروز في القرون اللاحقة، في مواجهاتهم مع الصليبيين، والمماليك، والعثمانيين، وفي بناء تحالفاتهم الخاصة، والتي ستكون موضوع الباب التالي من هذا الكتاب.



المصادر والمراجع

- د. حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر.
- عبد الرحمن البدوي. مذاهب الإسلاميين.
- كمال الصليبي، الدروز في التاريخ.

(٦)

الأصل العرقي وانتشار الدروز في بلاد الشام

يرتبط الوجود الدرزي في بلاد الشام بنشأة عقيدتهم الباطنية في ظل الخلافة الفاطمية، لا سيما في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦–٤١١هـ / ٩٩٦–١٠٢١م)، الذي عُدّ عندهم تجلّيًا إلهيًا. في البداية، ظهرت الدعوة في مصر، لكن سرعان ما قوبلت برفض واسع من المسلمين، سواء من السنة أو حتى من الإسماعيلية الفاطميين أنفسهم، ما اضطر دعاتهم إلى البحث عن بيئات أكثر تهيؤًا لاحتضان هذا الفكر السري المتطرّف، فكان الاتجاه إلى الشام.

هل الدروز شعب مهاجر من مصر؟

الوقائع التاريخية تشير إلى أن الدروز لم يهاجروا جماعات من مصر إلى الشام، وإنما انتقل دعاتهم فقط إلى هناك، وأبرزهم :حمزة بن علي بن أحمد الزوزني، وإسماعيل التميمي، ومحمد بن وهب القرشي .هؤلاء سعوا لنشر الدعوة في المناطق الجبلية الوعرة في بلاد الشام، مستهدفين مجتمعات متمازجة المذاهب أو ذات استعداد للانفصال عن السلطة السياسية والدينية المركزية.

وقد رفضت مصر الدعوة منذ وقت مبكر، حيث قُتل الداعية *الدرزي* (الذي سُمّيت الفرقة باسمه على رغم أن الدروز لا يحبونه)، وخرج بقية الدعاة فارّين. وكانت الجبال السورية واللبنانية ملاذًا آمنًا لهم، خاصة وأنها خارجة في الغالب عن سيطرة الدولة المركزية.

من هم أوائل أتباع الدعوة في الشام؟

وفقًا للمصادر، كان أوائل معتنقي المذهب الدرزي في بلاد الشام من السكان المحليين، لا سيما في *جبل السماق* شمالي سورية (محافظة إدلب حاليًا)، ثم لاحقًا في جبل لبنان وجبل العرب. ويبدو أن اعتناقهم لم يكن دائمًا

بسبب قناعة فكرية، بل أحيانًا بدافع العصبية المحلية، أو الاحتماء بمذهب سرّي يوفر نوعًا من الحماية من هيمنة القوى السياسية والدينية.[١]

يرجّح المؤرخون أن قبائل يمنية مثل آل تنوخ وآل معن في جبل لبنان كانوا في طليعة من اعتنقوا الدعوة الدرزية، مما يرسّخ أن الطائفة تمثل تحوّلًا عقائديًا لفئات من سكان الشام، لا هجرة جماعية قادمة من الخارج.[٢]

الطابع غير العرقي للطائفة

بخلاف كثير من الطوائف الدينية، فإن الدروز ليسوا جماعة إثنية أو عرقية متجانسة. إنهم خليط من عرب الشام، والقبائل اليمنية التي نُفي بعضها من اليمن إلى الشام في العهد العباسي، ومن سكان محليين من أصول آرامية أو سريانية دخلوا في المذهب لاحقًا. كما توجد مؤشرات على دخول بعض الأتراك في جبل لبنان في صفوفهم خلال العهد المملوكي.

وقد ذكر الباحث **سيد غويتين (S.D. Goitein)** أن من أكبر عوامل انتشار الدعوة الدرزية في الشام هو انقسام المذاهب الإسلامية آنذاك، والاضطرابات السياسية التي دفعت بعض المجموعات للبحث عن هوية مستقلة، ما ساعد الدعوة الدرزية على كسب أرض جديدة في جبل لبنان وجنوب الشام.[٣]

التحول العقائدي لا السكاني

التحول إلى المذهب الدرزي لم يكن نتيجة لانتقال جماعة من مكان إلى آخر، بل نتيجة لنشاط دعوي سري نجح في استمالة جماعات محلية إلى عقيدة جديدة. ويشير **كمال الصليبي** إلى أن معظم دروز لبنان وسوريا اليوم هم منحدرون من سكان تلك المناطق أنفسهم، الذين "غيّروا جلدهم الديني"

---

[١] انظر: نديم نايف حمزة، التنوخيون: أجداد الموحدين (الدروز) ودورهم في جبل لبنان. دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٦٧-٦٨.

[2] Wikipedia: Tanukh

[3] S.D. Goitein, "The Origins of the Druze People and Religion," *Studia Islamica*, *No. 26* (1967), pp. 55–84.

في القرون الوسطى، أي أنهم لم يأتوا من الخارج بل تحولوا تدريجيًا إلى هذه العقيدة الباطنية.[١]

بقاءهم في مناطق الجبال

أغلب تركز الدروز في مناطق جبلية (جبل الدروز، جبل لبنان، جبل السماق) يعكس ارتباطًا عضويًا بين العقيدة والبيئة المغلقة. فالدعوة السرّية لا يمكن أن تنجح في المدن الكبرى أو المناطق المنفتحة، لذلك كانت المناطق الجبلية خيارًا استراتيجيًا. هذه الجغرافيا ساهمت لاحقًا في تشكيل الطابع الانعزالي للمجتمع الدرزي، وساعدتهم على البقاء طيلة قرون رغم القطيعة مع المجتمع الإسلامي الأوسع.



[١] كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، بيروت: دار النهار، ط٢، ١٩٨٠، ص ٩٤–٩٦.

(٧)

الدروز زمن الحروب الصليبية والغزو المغولي

عندما دقّت أجراس الحروب الصليبية على أبواب الشام، كانت الطائفة الدرزية قد بدأت ترسّخ وجودها في الجبال الممتدة من الشوف إلى جبل حوران، وتبلورت هويتها الدينية والاجتماعية المتميزة عن محيطها الإسلامي. ولم تكن الحروب الصليبية والغزو المغولي مجرد اختبار للقوة، بل امتحان حاسم للولاءات والمواقف والهوية.

أولًا: الموقف من الحروب الصليبية

لم تكن المصادر الإسلامية أو الغربية تشير إلى **مشاركة درزية واسعة أو منظّمة في القتال ضد الصليبيين**، رغم قربهم الجغرافي من جبهات القتال. وفي حين انخرط المسلمون السنة في معارك الدفاع عن بيت المقدس والشام، من نور الدين زنكي إلى صلاح الدين الأيوبي، بقيت مشاركة الدروز محدودة، وأحيانًا موضع **ارتياب من قبل المسلمين**.

بل على العكس، تشير بعض الروايات إلى أن بعض الزعامات الدرزية في **جبل لبنان** قد **انتهجت سياسة الحياد أو التحالف الظرفي** مع الصليبيين، رغبة في حفظ مصالحهم الجبلية وصدّ أي تدخل خارجي في شؤونهم. ويبدو أن الغموض الذي يحيط بمعتقداتهم وانغلاقهم على أنفسهم، كان من أسباب اختيارهم لهذا الموقف، في مقابل الانخراط في مشروع إسلامي جامع.

وقد أشار الإمام ابن تيمية إلى هذا الموقف بوضوح حين قال:

"وَهُمْ دَائِمًا مَعَ كُلِّ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَهُمْ مَعَ النَّصَارَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُمْ فَتْحُ الْمُسْلِمِينَ لِلسَّوَاحِلِ وَانْقِهَارُ النَّصَارَى؛ بَلْ وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُمْ انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّتَارِ."[١]

وهو تصريح يشي بأن **الدروز في عصره لم يُظهروا العداء للصليبيين، بل كانوا على وفاق معهم ضد المسلمين**، مما أثار غضب علماء الأمة الذين اعتبروا ذلك **خيانة للعقيدة والولاء**.

ثانيًا: أثناء الغزو المغولي

عندما بدأ الزحف المغولي باتجاه العراق والشام في القرن السابع الهجري، وجّه التاريخ مرة أخرى سؤاله الثقيل: مع من تقف الطوائف؟ وهنا، كما في زمن الصليبيين، **لم يسجّل التاريخ دورًا عسكريًا يُذكر للدروز في مقاومة التتار**.

بل إن بعض المؤرخين يشير إلى أن المناطق الدرزية لم تكن هدفًا للمغول، ولم تكن أرضهم ساحة معارك، لذا **اختاروا مجددًا الانكفاء والحياد**، وترقب موازين القوى قبل اتخاذ المواقف. أما الدولة المملوكية الناشئة، التي حملت لواء الجهاد في معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، فلم تكن تجد في الطائفة الدرزية قوة معتمدة في مشروعها.

ومما يُذكر، أن **العلاقة بين الدروز والمماليك كانت متوترة في بعض الفترات**، خاصة في عهد السلطان بيبرس الذي سعى لإخضاع كل القوى المحلية لحكمه المركزي، بما فيها الزعامات الدرزية الجبلية.

ثالثًا: الأسباب والخلفيات

إن **مواقف الدروز المتحفظة أو المحايدة** في تلك المراحل الحرجة يمكن تفسيرها بعدة عوامل:

[١] مجموع الفتاوى، ٣٥/١٥٠-١٥١ وما بعدها.

١. **طبيعة العقيدة السرّية**، التي لا تنظر إلى الأمة الإسلامية كأمة واحدة، بل تميز بين "العارفين" و"العوام"، مما قلّل من اندماجهم في هموم الأمة الكبرى.

٢. **الرغبة في الحفاظ على الكيان المحلي الجبلي**، بعيدًا عن استنزاف الحروب والتحالفات الخارجية.

٣. **غياب مشروع إسلامي جامع لديهم**، يجعلهم يرون في "الحكم السني" أحيانًا خطرًا على وجودهم مثلما يرون في الاحتلال الصليبي أو الغزو المغولي خطرًا.

رابعًا: موقف علماء المسلمين

لم يكن العلماء السنيّون على الحياد تجاه هذا التراخي أو التحالف مع أعداء الأمة. فقد صنف **الإمام ابن تيمية** الدروز ضمن الطوائف الخارجة عن الإسلام، وقال عنهم:

"هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم، وإذا ظهرت الشهادتان مع عقائدهم فهم كفار باتفاق المسلمين... وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب.. "[١]

وقد أفتى بجواز قتالهم، ومنعهم من تولي المناصب، وتحريم أكل ذبائحهم، لأنهم . في نظره . لم يُظهروا من الإسلام إلا اسمه، وكتموا حقيقة دينهم الذي يناقض أصول التوحيد والشريعة.

وكان هذا الموقف نابعًا من رصد دقيق لمواقفهم في تلك المرحلة، خصوصًا في **موالاة الصليبيين والتتار وموالاة أعداء الإسلام عند المحكّات المصيرية**.

خامسًا: النتائج والتداعيات

إن امتناع الدروز عن المشاركة الفعالة في مواجهة الغزوات الصليبية والمغولية، أثّر على **صورتهم التاريخية في الوعي الإسلامي** .فقد رآهم كثير من

---

[١] فتوى شيخ الإسلام في النصيرية والدروز، ص٧٩.

العلماء والمؤرخين كجماعة باطنية متقوقعة، ذات ولاء مضطرب، ومواقف مترددة.

وقد أسهم ذلك في **عزلهم أكثر** عن المجتمع الإسلامي العام، وزيادة الحذر الشعبي والعلمي منهم، وهي النظرة التي سترافقهم لاحقًا حتى في عهد الدولة العثمانية.

الخلاصة

لقد مثّل زمن الحروب الصليبية والتتارية لحظة كشف حقيقية للمواقف، وبرز خلالها الدروز كقوة محلية اختارت الانعزال أو الحياد أو حتى المواءمة مع أعداء المسلمين، حفاظًا على وجودها الذاتي. ولم يكن ذلك محض صدفة، بل نتاج عقيدة وتاريخ وبنية اجتماعية مغلقة، ستنعكس لاحقًا على أدوارهم السياسية في العصور التالية.



المصادر والمراجع

- ابن تيمية، مجموع الفتاوى
- ابن كثير، البداية والنهاية
- الذهبي، سير أعلام النبلاء
- إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية
- محمد سهيل طقوش. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام.

(٨)

التحوّل إلى قوة محلية فخر الدين المعني الثاني وبناء النفوذ الدرزي

بعد قرون من الانكفاء والعزلة التي ميّزت الوجود الدرزي في الجبال الوعرة للشوف وحوران، بدأ الدروز يظهرون كلاعب سياسي محلي مؤثر، خاصة مع بروز شخصية **الأمير فخر الدين المعني الثاني** في القرن السابع عشر الميلادي. وقد شهدت هذه المرحلة مفارقة بارزة: تحوّل جماعة كانت باطنية مغلقة إلى قوة شبه مستقلة تمارس الحكم، وتعقد التحالفات مع القوى الغربية، وتتصادم مع السلطة العثمانية المركزية. فما الذي مكّنهم من ذلك؟ وما دور القوى الأوروبية في دعمهم؟

أولًا: الأمير فخر الدين المعني الثاني – سيرة ومشروع

وُلد فخر الدين الثاني سنة ١٥٧٢م، وكان من أمراء **آل معن**، وهي أسرة درزية عريقة حكمت أجزاء من جبل لبنان تحت راية الدولة العثمانية بصفتهم أُمراء على جبل الشوف. إلا أن فخر الدين كان يطمح إلى أكثر من مجرد ولاية جبلية؛ سعى إلى **الاستقلال السياسي، وبناء كيان درزي قوي، والانفتاح على الغرب**.

وما ميّز فخر الدين هو:

- حنكته الدبلوماسية.
- سعيه لتوحيد جبل لبنان بكل طوائفه تحت سلطته.
- طموحه في إقامة كيان سياسي مستقل عن الباب العالي.

ثانيًا: التحالف مع القوى الغربية

في خطوة غير مسبوقة في تاريخ المنطقة، **عقد فخر الدين تحالفًا استراتيجيًا مع دوقية توسكانا الإيطالية،** وأرسل البعثات والرسل، وتبادل السفراء مع الأوروبيين. وكان الهدف من ذلك واضحًا :**الاستقواء بالغرب في مواجهة الدولة العثمانية** التي بدأت تنزعج من طموحاته.

وبموجب هذا التحالف، حصل فخر الدين على دعم عسكري ومهندسين أوروبيين، واستورد الأسلحة الحديثة، وبدأ في **تحصين قلاعه وتوسيع نفوذه إلى مناطق تمتد من جبل لبنان إلى بعلبك والبقاع وصيدا،** بل وحتى شمال فلسطين. ونستطيع أن نقول أن فخر الدين يمثل أول مشروع استقلال محلي في جبل لبنان يتقاطع مع المصالح الأوروبية ويخدم تطلعاتها الاستعمارية البعيدة المدى.[1]

لكن لماذا اتجه فخر الدين المعني إلى توسكانا وأقام تحالفاً معها؟

تحالف **فخر الدين المعني الثاني** مع **دوقية توسكانا الكبرى** في بداية القرن السابع عشر نتيجةً لتقاطع المصالح السياسية، والطموحات الاستقلالية، والعوامل الإقليمية التي شكّلت بيئة ملائمة للتحالفات المناوئة للدولة العثمانية.

كان فخر الدين المعني أميرًا محنكًا، يسعى إلى توسيع نفوذه خارج جبل لبنان، ويطمح إلى قدر من الاستقلال عن الدولة العثمانية. وقد وجد أن:

- الدولة العثمانية كانت تعتبره مجرد متصرف ضمن نظام الالتزام.
- طموحاته في التوسع نحو دمشق وفلسطين والشام الجنوبي اصطدمت بالولاة العثمانيين وخصوصًا والي دمشق.

لذلك، سعى إلى **التحالف مع قوة أوروبية** تدعمه في طموحه للاستقلال وتعزيز سلطته، فوجد في توسكانا حليفًا مناسبًا.

---

[1] See, *Sectarianism, Identity and Conflict in the Middle East*, Michael C. Hudson, Editor

في ذلك الوقت، كانت **دوقية توسكانا الكبرى**، بقيادة الدوق **فرديناندو الأول دي ميديشي** (Ferdinando I de' Medici)، تسعى إلى:

- توسيع نفوذها البحري في شرق المتوسط.
- إضعاف السيطرة العثمانية على الشام وسواحل فلسطين ولبنان.
- إنشاء موطئ قدم استراتيجي لها في بلاد الشام بحيث تخدم نفوذها المسيحي في المستقبل.

لذا، رأت في فخر الدين زعيمًا محليًا قويًا يمكن التعاون معه ضد النفوذ العثماني.

الدعم العسكري واللوجستي

في عام ١٦٠٨ أبرم فخر الدين **اتفاقًا سريًا** مع توسكانا، يتضمن:

- إرسال بعثة عسكرية إيطالية إلى لبنان لتدريب قواته.
- تزويده بالمدافع والذخائر، وتطوير تحصينات **قلعة الشقيف** وغيرها.
- تقديم دعم لوجستي في حال قرر إعلان العصيان على الدولة العثمانية.

وبالفعل، **استضاف فخر الدين مهندسين إيطاليين** لبناء القلاع وتحديث تحصيناته، وكان ذلك تحولًا نوعيًا في بنيته العسكرية.

الغطاء الديني والسياسي للتحالف

- توسكانا كاثوليكية، وفخر الدين درزي، لكن ذلك لم يمنع تحالفًا مبنيًا على **البراغماتية السياسية**.
- رأت توسكانا أن التحالف مع فخر الدين يندرج ضمن **حملتها الصليبية الجديدة** ضد العثمانيين، ولو بشكل محدود.
- وفخر الدين استفاد من هذا الانفتاح ليبني علاقات مع الفاتيكان والدول الأوروبية الكاثوليكية الأخرى مثل فرنسا.

وكان من نتائج هذا التحالف أنه:

- ساهم في تقوية فخر الدين سياسيًا وعسكريًا خلال عقد كامل.
- أثار قلق الدولة العثمانية التي **أرسلت حملة بقيادة أحمد الكجك عام ١٦١٣** لطرده، مما اضطره للهرب إلى توسكانا نفسها حيث **أقام في فلورنسا حتى عام ١٦١٨**.
- عُدّ هذا التحالف **سابقة خطيرة** في علاقات الزعامات المحلية في المشرق العربي مع القوى الأوروبية.[١]

ثالثًا: المواجهة مع الدولة العثمانية

بطبيعة الحال، لم تكن الدولة العثمانية لتتسامح مع مشروع كهذا. فخر الدين الذي كان يومًا واليًا درزيًا تابعًا، بات يشكّل خطرًا على وحدة الدولة. وبدأت **حملة عسكرية عثمانية بقيادة والي دمشق أحمد الكجك** عام ١٦١٣م، أُجبر على إثرها فخر الدين على الفرار إلى أوروبا.

لكن هذا النفي كان **بمثابة "رحلة تعلم"**، حيث أقام فخر الدين في توسكانا، واطّلع على النظم الإدارية والعسكرية الحديثة، وعاد بعدها إلى لبنان سنة ١٦١٨م ليُجدّد مشروعه بإصرار أكبر، مدعومًا بالخبرات الغربية.

واستمر مشروعه حتى عام ١٦٣٥م، حين أُسر بعد حصار طويل، وأُعدم في دمشق بأمر من السلطان مراد الرابع.[٢]

رابعًا: أثر مشروع فخر الدين في تعزيز النفوذ الدرزي

رغم نهاية فخر الدين المأساوية، إلا أن مشروعه خلّف آثارًا بعيدة المدى:

١. **ترسيخ مكانة الدروز كقوة سياسية إقليمية** في جبل لبنان والشوف.

---

[١] للأسف، هذا ما نراه في الوقت الراهن في سوريا -على سبيل المثال- حيث تتحالف قوى الطوائف المختلفة من نصيرية ودرزية وعلمانية (مثل حزب العمال الكردستاني وأذرعه) مع أعداء الشعوب من الأمم الأخرى، وتطلب منهم الحماية والسلاح.

[٢] انظر ويكيبيديا: فخر الدين المعني الثاني.

٢. **تحفيز الوعي المحلي بالكيانية والانفصال عن السلطنة**، وهو ما ستتوارثه الزعامات الدرزية لاحقًا.

٣. **إدخال النفوذ الأوروبي إلى قلب لبنان**، وهو ما سيتطور لاحقًا إلى تدخل فرنسي مباشر في القرن التاسع عشر.

٤. **إعادة تشكيل التحالفات الطائفية** في المنطقة، إذ حاول فخر الدين اجتذاب المسيحيين والموارنة إلى مشروعه ضد العثمانيين، مما أرسى لاحقًا قواعد التحالفات الطائفية المعقّدة في الجبل.

خامسًا: الغربيون والدروز – بداية علاقة استراتيجية

رأى الغربيون، وخصوصًا الإيطاليين والفرنسيين، في الطائفة الدرزية **أداة مناسبة لتقويض الهيمنة العثمانية** .وقد لعبت هذه الرؤية دورًا لاحقًا في:

- دعم البعثات التبشيرية بحجة حماية الأقليات.
- تبرير التدخل الأوروبي في حروب الجبل بين الدروز والموارنة.
- دعم مشاريع الحكم الذاتي للطوائف على حساب الدولة العثمانية المركزية.

وكانت **علاقة الدروز بالغرب قائمة على المصالح لا العقيدة؛** فهم لم يكونوا نصارى، ولم يُظهروا توددًا دينيًا للغرب، لكنهم وجدوا في التحالف الغربي سندًا سياسيًا وعسكريًا في مواجهة الخصوم الداخليين والخارجيين.

سادسًا: نقد الموقف من منظور إسلامي

من منظور أهل السنة والجماعة، فإن **تحالف الطوائف الباطنية مع الغرب ضد الدولة الإسلامية المركزية كان ولا يزال مرفوضًا شرعًا**، ويدخل ضمن أبواب الموالاة لأعداء الله. وقد صنف العلماء هذا النوع من التحالفات على أنه **خيانة للأمة وانحراف عن الولاء الشرعي**.

الخلاصة

لقد شكلت تجربة فخر الدين المعني الثاني لحظة تحوّل في تاريخ الدروز من طائفة منغلقة إلى قوة سياسية تبحث عن موقع في صراع الأمم. وكان

تحالفهم مع الغرب نقطة انطلاق لعلاقات استراتيجية مع القوى الأجنبية، ستتكرّر لاحقًا في لحظات مفصلية من تاريخ الشام ولبنان. وفي ضوء ذلك، فإن تاريخ الدروز لم يعد مجرد شأن طائفي، بل تحول إلى عنصر فاعل في تشكيل الجغرافيا السياسية للمنطقة.



المصادر والمراجع

- خير الدين الزركلي، الأعلام
- لحد خاطر. لبنان في عهد المتصرفية، بيروت ١٩٦٧
- مايكل هدسون، الطائفية والسياسة في الشرق الأوسط
- محمد كرد علي، خطط الشام
- بولس قرألي. فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان: علاقته بفردناندو الأول وقزما الثاني أميري تسكانا.

Abdul-Rahim Abu-Husayn, *Provincial Leaderships in Syria, 1575–1650*, American University of Beirut, 1985.

1. Paolo Preto, *Venezia e i Turchi*, Marsilio, 1975.
2. Giovanni Bonacina, *Fakhreddin II and the Medici: A Political Alliance in the Eastern Mediterranean*, Journal of the Royal Asiatic Society, 2002.
3. Hourani, Albert. *Arabic Thought in the Liberal Age: 1798–1939*. Cambridge University Press, 1962.

(٩)

الدروز في عهد المتصرفية والانتداب الفرنسي: من العصيان إلى التوازن الطائفي

دخل جبل لبنان في منتصف القرن التاسع عشر مرحلة جديدة من تاريخه السياسي والاجتماعي بعد سلسلة من النزاعات الدامية بين الدروز والمسيحيين، والتي بلغت ذروتها في مجازر ١٨٦٠. على إثر ذلك، تدخّلت الدول الأوروبية بقيادة فرنسا، وتم الاتفاق على صيغة حكم جديدة تُعرف بـ **نظام المتصرفية** (١٨٦١-١٩١٥). وقد شكّلت هذه المرحلة لحظة دقيقة في تاريخ الطائفة الدرزية، بين محاولات التهميش والتطويع، وبين السعي للحفاظ على النفوذ التاريخي والسيطرة على مناطق الجبل.

أولًا: فتنة ١٨٦٠ والدروز في وجه أوروبا

اندلعت فتنة ١٨٦٠ بين الدروز والمسيحيين (وخاصة الموارنة) في جبل لبنان وسهل البقاع، في ظل توتر طويل الأمد تغذّيه التحزّبات الطائفية والتدخلات الخارجية. وقد حملت فرنسا راية "حماية الموارنة"، بينما وقفت الدولة العثمانية رسميًا في موقف الوسيط، وإن مالت بعض إداراتها إلى كبح جماح الدروز.

تُوّجت هذه الأحداث بتدخّل عسكري فرنسي مباشر، بحجة حماية المسيحيين، مما أدى إلى إضعاف موقع الدروز سياسيًا، وطرح التساؤلات الكبرى:

هل انتهى عصر الدروز السياسي؟ وهل نجح المشروع الغربي في تحجيم قوتهم؟

ثانيًا: نظام المتصرفية – تهميش درزي أم توازن قلق؟

في عام ١٨٦١، أُنشئ نظام المتصرفية بدعم دولي، وقضى بأن يكون جبل لبنان كيانًا إداريًا شبه مستقل تحت إدارة متصرف نصراني غير لبناني يُعيّنه السلطان العثماني بموافقة الدول الأوروبية. كما وُضعت صيغة طائفية دقيقة لتوزيع المناصب الإدارية:

- الموارنة حصلوا على النسبة الكبرى من الوظائف.
- الدروز نالوا نسبة أقل، عكست تحجيمهم بعد أحداث ١٨٦٠.
- وُزّعت المقاعد في "مجلس الإدارة" طائفيًا بين الموارنة والدروز وغيرهم.

لكن رغم هذا التراجع الظاهري، استطاع الدروز الحفاظ على ثقلهم في الشوف وراشيا وحاصبيا، واستثمروا موقعهم الجغرافي والاقتصادي لفرض نوع من التوازن مع القوى المسيحية.

ثالثًا: صعود القادة الدروز وإعادة التموضع

خلال فترة المتصرفية، برزت زعامات درزية جديدة عملت على:

- **ضبط المجتمع الدرزي الداخلي** والحفاظ على تماسكه أمام المدّ التبشيري والمسيحي.
- **إقامة شبكات من التحالفات المحلية** مع زعامات سنّية وشيعية في البقاع وحوران.
- **الانفتاح المحسوب على العثمانيين** دون تفريط في الهوية الدرزية.

ومن هؤلاء القادة:

سعيد جنبلاط ونسيب بك جنبلاط، الذين أسسوا تقليدًا سياسيًا جديدًا يقوم على **الدبلوماسية بدل السلاح**، و**الاقتصاد بدل المواجهة**.

رابعًا: الاحتلال الفرنسي وسورية الكبرى – من الثورة إلى الاحتواء

عقب الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية، دخل الفرنسيون إلى لبنان وسوريا، وقسّموا البلاد إلى دويلات طائفية. وقفت الطائفة الدرزية، ممثلة بزعيمها **سلطان باشا الأطرش**، ضد هذا المشروع، و**قاد الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧)** ضد الانتداب الفرنسي، وكانت معاقل الدروز في جبل العرب مركزًا للمقاومة.

لكن بالمقابل، في لبنان الكبير الذي أنشأه الفرنسيون سنة ١٩٢٠، سعى الفرنسيون إلى **استيعاب الدروز وتحييدهم**، من خلال منحهم مقاعد سياسية وضمانات محلية.

وهكذا، أصبح الدروز **طرفًا موزونًا** في المعادلة اللبنانية، لا الأكثرية الحاكمة ولا الأقلية المهمّشة، بل "لاعبًا ثالثًا" يحسب له حساب.

خامسًا: قراءة تحليلية – من العصيان إلى التوازن

ما الذي يفسّر صمود الدروز وتحولهم من خصم للغرب إلى شريك سياسي في لبنان؟

١. **واقعية القيادات الدرزية** التي انتقلت من الثورة إلى التفاوض.

٢. **الخبرة التاريخية** التي راكمها الدروز في إدارة الجبل.

٣. **تفهم الغرب لخصوصية الدروز**، وسعيه للاستفادة منهم في ضبط الجبل، مقابل التنازل عن بعض النفوذ.

سادسًا: الموقف الإسلامي من أحداث تلك المرحلة

من وجهة نظر أهل السنّة والجماعة، فإن:

- قتال الدروز للمسلمين في فتنة ١٨٦٠، ثم تحالفهم لاحقًا مع الاحتلال الفرنسي في بعض المناطق، هو محل إدانة شرعية.
- ولكن وقوفهم مع سلطان باشا الأطرش ضد الفرنسيين يُعد من المواقف المشرّفة التي تحسب لهم، وإن شابها غموض عقائدي.

الخلاصة

نجح الدروز خلال هذه الفترة في البقاء لاعبًا فاعلًا رغم التحولات الجذرية في المنطقة، وتدرّجوا من الثورة والعصيان إلى الشراكة والتوازن. ومع ذلك، بقيت هويتهم العقدية الباطنية وعلاقاتهم الغربية مثار تساؤل دائم لدى المؤرخين الإسلاميين، مما يجعل قراءة هذه المرحلة غير مكتملة إلا باستحضار المنظور العقدي والسياسي معًا.



المصادر والمراجع

- باتريك سيل، الصراع على سوريا
- فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين.
- ملحم قربان. تاريخ لبنان السياسي الحديث.

الباب الرابع

الدروز في العصر الحديث

(١٠)

الدروز في لبنان: من الحروب الأهلية إلى ممالك الطوائف

منذ ولادة لبنان المستقل عام ١٩٤٣، دخل الدروز مرحلة جديدة من التكيّف مع دولة قائمة على صيغة طائفية دقيقة، ضمن ما عُرف بـ"الميثاق الوطني "الذي حدّد موقع كل طائفة في معادلة الحكم والتمثيل. بعد قرون من الانغلاق العقدي والغموض المذهبي، وجدوا أنفسهم شركاء رسميين في بنية الدولة، وهو تحولٌ جذري فرض عليهم إعادة تعريف علاقتهم بالمجتمع والدولة، دون أن يتخلّوا عن إرثهم التاريخي أو غموضهم العقائدي. لبنان، بجباله الوعرة وخاصة في الشوف، كان دائمًا مسرحًا لتكوّن العقلية السياسية الدرزية، من حيث التمركز العسكري والتحالفات المتقلّبة والتمردات وحتى المجازر، التي رسمت ملامح الطائفة وحدود اندماجها أو انعزالها. وعلى أرضه، تطوّرت الشخصية السياسية للدروز من الانكفاء إلى الهيمنة، ومن الحياد إلى التواطؤ، ومن "التقية "إلى المجاهرة بالمواقف، في مسارٍ معقّد يعكس خصوصية التجربة الدرزية اللبنانية داخل دولة طائفية متداخلة، تحكمها التوازنات لا المبادئ، والمصالح لا العقائد.

أولاً- الجذور: الإمارة المعنية ثم الإمارة الشهابية

في القرنين السادس عشر والسابع عشر، برزت في جبل لبنان إمارات محلية تحت مظلة الدولة العثمانية، أبرزها **الإمارة المعنية** التي كانت بقيادة أمراء دروز، وكان أبرزهم **فخر الدين المَعْني الثاني** .وقد تمكّن فخر الدين من بسط نفوذه على مساحات واسعة من بلاد الشام بمساعدة الأوروبيين، لا سيما الإيطاليين، وعاش في فلورنسا فترة من الزمن.

وقد دخل في صدام مع الدولة العثمانية بسبب طموحاته التوسعية، قبل أن تنهي الدولة حياته ونفوذه سنة ١٦٣٥م. ثم جاءت **إمارة الشهابيين (الذين**

كانوا مسلمين ثم تنصروا) والتي شكّلت انتقالًا للحكم من الدروز إلى الموارنة تدريجيًا، مع بقاء النفوذ الدرزي قويًا، خاصة في المناطق الجبلية مثل الشوف.

ثانياً- الصراع المذهبي مع الموارنة

خلال القرن التاسع عشر، انفجرت الأوضاع بين الدروز والمسيحيين الموارنة، خاصة في جبل لبنان. وقد سُجلت **مجازر كبرى في عام ١٨٦٠**، راح ضحيتها آلاف المسيحيين، وكان للدروز دور محوري فيها. وقد شملت هذه المجازر قرى وبلدات مثل دير القمر وزحلة وصيدا، وانتهت بتدخل فرنسي عسكري تحت ذريعة حماية المسيحيين.

هذا التدخل الفرنسي، رغم أنه جاء للحد من المجازر، إلا أنه زرع نواة التدخل الأوروبي الطائفي في لبنان، وساهم في ترسيخ واقع "الطوائف المحمية"، وهو ما استثمره الدروز لاحقًا للتحصّن خلف هوية طائفية عسكرية في مواجهة الجميع.

ثالثاً- تكريس الزعامة الدرزية

مع إعلان الجنرال غورو قيام "دولة لبنان الكبير" سنة ١٩٢٠ تحت الانتداب الفرنسي، ضُمّ جبل الدروز إلى الدولة الجديدة، فبدأت الطائفة في البحث عن مكان ضمن الخريطة الطائفية المتشكّلة. وقد تميزت تلك الفترة بشعور درزي بالخذلان، لعدم منحهم موقعًا يوازي دورهم التاريخي.

وكانت الزعامة الدرزية تتناوب بين بيتَي أرسلان وجنبلاط، اللذين تنافسا على تمثيل الطائفة، مع تباينات في الموقف من فرنسا والعرب.

في الدولة اللبنانية الحديثة، برز الدروز من خلال زعامة آل جنبلاط[١] الذين مثّلوا التجسيد الأوضح للقدرة الدرزية على التكيف السياسي، والانتقال من

---

١ يُرجّح أن اسم "جنبلاط" أصله تركي مركب من كلمتين: "جان (Can) "وتعني "الروح" أو "الحياة"، و"بولات (Polat) "وتعني "الفولاذ" أو "الحديد"، فيكون معنى الاسم "روح من فولاذ" أو "قلب فولاذي"، وهي تسمية ذات طابع بطولي شاعت في العهد العثماني. ويُقال إن الجد المؤسس للعائلة كان يُعرف بـ"جان بولاد"، وقد دخل جبل لبنان في القرن السابع عشر- -إما من حلب أو من الأناضول، على صلة بالأمير فخر الدين المعني الثاني. وقد تحوّر الاسم في اللهجات المحلية إلى "جنبلاط."

الانغلاق الطائفي إلى التموقع الوطني المدروس. وقد قاد كمال جنبلاط مرحلة الحداثة الدرزية منذ منتصف القرن العشرين، حيث أسس الحزب التقدمي الاشتراكي، ودمج الطائفة ضمن خطاب اشتراكي قومي، منفتح على التيارات اليسارية، وساعٍ إلى بناء لبنان العروبي الحداثي. كان كمال جنبلاط فيلسوفًا اشتراكيًا ومفكرًا قوميًا، تبنّى أفكارًا عصرية وشارك في تأسيس الحركة الوطنية اللبنانية، محاولًا الموازنة بين الانتماء الدرزي والعمل المدني الجامع. ومع اغتياله عام ١٩٧٧، خلفه ابنه وليد جنبلاط في الزعامة، فتميز بأسلوب براغماتي متقلب، تنقّل خلاله بين المحاور السياسية الإقليمية، وتحالف مع أطراف متناقضة حسب ظروف المرحلة. لكنه حافظ على موقع الطائفة الدرزية في الدولة، وضَمِن لها تمثيلًا دائمًا في البرلمان والحكومة، وأعاد إنتاج الخطاب الجنبلاطي ضمن معادلة أكثر واقعية وأقل مثالية. وفي موازاة ذلك، تراجعت زعامة آل أرسلان، لتنفرد عائلة جنبلاط بقيادة الطائفة داخل مؤسسات الدولة وخارجها. وقد اتسمت هذه الزعامة بالازدواجية الصارخة: دعوة للعلمانية والانفتاح في الخطاب، وتمترس طائفي في السلوك والممارسة، حتى تحوّل جبل لبنان، خصوصًا منطقة الشوف، إلى "إقطاعية درزية "بكل ما للكلمة من معنى، تحكمها شبكات الزعامة، ويُعاد فيها إنتاج الهوية الطائفية ضمن خطاب مدني لا يخلو من تناقضات.

رابعاً- الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ – ١٩٩٠)

مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، انخرط الدروز بفعالية عسكرية ضخمة ضمن ما سُمي حينها بالحركة الوطنية اللبنانية. وتحالف وليد جنبلاط مع الفلسطينيين، ثم مع السوريين، قبل أن يغير تحالفاته لاحقًا. وقد وقعت في هذه المرحلة **مجزرة صيدا،** ثم **مجزرة الشحار الغربي**، وصولًا إلى المجزرة الأبرز :**مجزرة الجبل (١٩٨٣)**، التي ارتكبها الدروز بحق الموارنة بعد انسحاب قوات القوات الإسرائيلية من مناطق الشوف وعاليه وبعبدا اللبنانية.

أسفرت هذه المجازر عن تهجير عشرات الآلاف من المسيحيين من مناطقهم، وتحولت مناطق الشوف إلى بيئة مغلقة يحكمها الحزب التقدمي الاشتراكي بيد من حديد. وقد رافق ذلك تدمير واسع للقرى والكنائس وفرض واقع طائفي جديد بالقوة.

والجدير بالذكر أن المجازر لم تكن أحادية الاتجاه، بل شهدت هذه الحرب الأهلية مجازر متبادلة بين الطوائف، منها ما ارتكب بحق الدروز أيضاً، مثل مجزرة الشمس ومجزرة الباروك.[١]

خامساً-العلاقات مع النظام السوري وإسرائيل

في فترة ما بعد الحرب الأهلية، حافظ الدروز على علاقة وثيقة بالنظام السوري، وقدّموا له الولاء السياسي مقابل ضمان استمرار الزعامة الدرزية. لكنهم لم يتورعوا عن فتح خطوط غير رسمية مع إسرائيل أيضًا، خصوصًا عبر شخصيات محلية، سعوا من خلالها إلى تقديم أنفسهم كـ"وسيط طائفي موثوق" في أي تسوية مستقبلية.

ومن اللافت أن بعض الزعامات الدرزية دعمت الاحتلال السوري للبنان سرًا وعلانية، وسعت إلى توظيف ذلك لمزيد من الهيمنة الداخلية.

سادساً- ما بعد الطائف: ثبات الهيمنة

بعد توقيع اتفاق الطائف سنة ١٩٨٩، دخل لبنان مرحلة "السلم الهش"، لكن النفوذ الدرزي لم يتراجع، بل أعيدت صياغته ضمن معادلة الطوائف. وقد احتفظ الدروز بموقع "بيضة القبان" في كثير من الحكومات، واحتكروا تمثيلهم عبر آل جنبلاط، الذين أصبحوا يتحكمون في التعيينات والقضاء والتعليم والموارد في مناطقهم.

وقد شكل **وليد جنبلاط** مثالًا على "البراغماتية الطائفية" حين أعلن دعمه للسلاح الإيراني عبر حزب الله، ثم عاد لاحقًا ليهاجم الحزب، ثم عاد وتحالف معه من جديد، بحسب تغير الرياح الإقليمية.

سابعاً- موقفهم من القضايا العربية والإسلامية

تميّز الموقف الدرزي الحديث بالغموض والتردد:

---

[١] للتوسع في المجازر والانتهاكات التي وقعت خلال حرب الجبل، خاصة في عام ١٩٨٣، انظر: (النزاع على جبل لبنان) مكرم رباح؛ (كمال جنبلاط: التراث العربي الإسلامي ودور الدروز في مفهومه لتاريخ لبنان) برناديت شينك...

- دعموا القضية الفلسطينية على الصعيد الخطابي، لكن **انقسموا ميدانيًا** خلال الحرب الأهلية بين دعم للمقاومة وتعاون ظرفي مع الاحتلال الإسرائيلي في بعض المناطق.
- اتخذوا موقفًا حذرًا من الثورة السورية، إذ انقسمت القاعدة الدرزية بين الموالاة للنظام (بقيادة مشايخ السويداء) وبين الحياد أو الدعم الخجول للمعارضة.
- تميز خطابهم العام بتغليب "المصالح الطائفية" و"الخصوصية اللبنانية"، مما أبعدهم عن القضايا الإسلامية الكبرى.

وقد قال كمال جنبلاط:

"نحن لا نريد أن نعود إلى الماضي، بل أن نُبدع مجتمعًا جديدًا، يحقق للإنسان كرامته ووعيه ووجوده."[١]

وهذا يُظهر النزعة الدروزية إلى **العلمانية المنضبطة** بدلًا من الانخراط في المشاريع الإسلامية أو العقائدية.

ثامناً- الدور الغربي وتاريخ الحماية

لا يمكن فهم الموقع الدرزي الحديث دون التذكير بالدور الغربي التاريخي في **حمايتهم أو دعمهم مرحليًا** .فقد:

- استفاد الدروز من **الدعم البريطاني** أحيانًا لمواجهة الموارنة المدعومين من فرنسا.
- تبنّى بعض الدروز **خطابًا حداثيًا وعلمانيًا** لإظهار التمايز عن بقية الطوائف الإسلامية.
- نظرت إليهم بعض الدوائر الغربية كـ"شريك محلي مفيد" في مشاريع التقسيم أو الضبط الطائفي.

---

[١] ميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي.

وقد وظّف الدروز هذا الغموض ببراعة لحماية وجودهم واستمرار زعاماتهم السياسية.

تاسعاً- المواقف الأخيرة وعداء الدولة السورية الجديدة

وفي عام ٢٠٢٥، ومع سقوط نظام الأسد، بدأت مواقف القوى الإقليمية والداخلية تتضح بشكل أكثر جلاء. وبينما أبدت غالبية الأطراف السنية والمسيحية في لبنان دعمها للدولة السورية الجديدة، أعلنت شخصيات قيادية درزية – وعلى رأسها رموز من جبل لبنان – تأييدها للشيخ حكمت الهجري في موقفه الرافض للتفاهم مع السلطة الجديدة في دمشق، وهو ما عُدّ استمرارًا لخط القطيعة والتمرد.

وقد تزامن ذلك مع القصف الإسرائيلي لدمشق يوم ١٦ تموز ٢٠٢٥، ما أكّد حالة الانحراف التاريخي المتجدّد.

بالتأكيد، فإن الصورة في المشهد الدرزي أكثر تعقيداً من مجرد تأييد جماعي أو دعوة موحدة للتدخل الإسرائيلي:

ففي السويداء نفسها، انقسمت القيادة الدرزية بين مؤيدين ومعارضين لحكمت الهجري، فإن فصائل مثل درع التوحيد ولواء الجبل أعلنت دعمها للهجري، في المقابل هناك فصائل أخرى مثل تحالف مضافة الكرامة بقيادة ليث البلعوس، وأحرار جبل العرب أيّدت الدولة السورية ورفضت التدخل الخارجي.[١]

هذه الأحداث كشفت أن تحالف هذه الفئة من الدروز مع الغرب وإسرائيل لم يكن حادثًا ظرفيًا، بل جزءًا من مشروع سياسي طويل قائم على الخصوصية الطائفية والرهان على الخارج.

ومن طرفه، فقد حذر وليد جنبلاط من جرّ الطائفة إلى حرب مفتوحة مع العشائر، ولم يؤيّد التدخل الإسرائيلي. وبصرف النظر عن مواقف الدروز اللبنانيين، فإن حشر الطائفة الدرزية في صراع كهذا في بحر من الأمة الإسلامية

---

[١] انظر: **الأسبوع:** https://www.elaosboa.com/2339770/

السنية لن يعود عليها بخير، فالعقلاء منهم يعلمون أنهم سيخسرون كل شيء، وإن كان خلفهم الكيان الصهيوني بل والغرب كله!

موقف وئام وهاب[١] من الثورة السورية والحكومة الجديدة

كان وهاب **من أبرز حلفاء نظام بشار الأسد** خلال سنوات الحرب، ودافع عنه بشراسة في الإعلام والسياسة. فبعد **سقوط نظام الأسد أواخر ٢٠٢٤** وصعود الرئيس الجديد **أحمد الشرع**، اتخذ موقفاً معادياً لحكومة الشرع فوصفها بأنها **"مغتصبة للسلطة "**واعتبر الرئيس الشرع "منقلباً ينفذ أجندة أمريكية."[٢]

---

[١] وئام وهاب هو سياسي وإعلامي لبناني ينتمي إلى الطائفة الدرزية، وُلد عام ١٩٦٤ في بلدة **الجاهلية** في قضاء الشوف بجبل لبنان. وهو مؤسس ورئيس حزب التوحيد العربي الذي أطلقه في العام ٢٠٠٦، بعد أن كان أحد الشخصيات المقربة من الحزب التقدمي الاشتراكي بزعامة وليد جنبلاط، قبل أن ينشق عنه ويتخذ مسارًا سياسيًا مختلفًا. عُرف وئام بمواقفه الإعلامية النارية وخطابه السياسي الحاد، وهو يُصنّف ضمن محور الممانعة في لبنان، أي ضمن القوى الحليفة لسوريا وإيران وحزب الله. وقد دافع باستمرار عن نظام بشار الأسد، وكان من أبرز الوجوه الدرزية التي عارضت ثورة ٢٠١١ في سوريا، بل وهاجم بشكل متكرر القوى الدرزية المعارضة للنظام السوري، سواء في لبنان أو في جبل العرب.

مواقفه وتوجهاته

- يُعرف وهاب بمواقفه الحادة ضد وليد جنبلاط، زعيم الطائفة الدرزية التقليدي في لبنان، وقد سعى مرارًا إلى تقديم نفسه كبديل سياسي و"درزي وطني" غير تابع للغرب أو للسعودية، حسب تعبيره.
- تربطه علاقات وثيقة بالنظام السوري وبقيادات من حزب الله، ويشارك في الخطاب الإعلامي الذي يعادي السياسة الأميركية والخليجية في المنطقة.
- شارك في الانتخابات النيابية أكثر من مرة، دون أن ينجح في الحصول على مقعد برلماني دائم، لكن له قاعدة شعبية في بعض قرى الشوف وراشيا.
- أسس قناة "OTV" سابقًا، ثم أسس لاحقًا قناة "توحيد" التابعة لحزبه، لتكون منبرًا سياسيًا له ولخطه.

ورغم انتمائه إلى الطائفة الدرزية، فإن وئام وهاب يقدّم نفسه كسياسي "عروبي إسلامي"، وقد تبنّى خطابًا درزيًا منفتحًا على المحور الإيراني والسوري، مما جعله في مواجهة مع عدد من المرجعيات الدينية الدرزية، خاصة في السويداء.

يُعد وئام وهاب من الشخصيات الدرزية الجدلية، إذ يجمع بين الشعبوية الإعلامية والخطاب السياسي الحاد، وقد لعب دورًا سياسيًا هامشيًا لكنه صاخب، خاصة في التوازنات الدرزية الداخلية، حيث يسعى إلى استثمار الخلاف بين جنبلاط وبشار الأسد لصالحه.

[٢] وئام وهاب... دعوات للعنف والتحريض الطائفي تحت مجهر القانون السوري – صحيفة الثورة

دعا وهاب إلى **مقاومة مسلحة درزية** ضد النظام الجديد واستهداف القصر الجمهوري في دمشق.[١]

أعلن عن تشكيل ميليشيا باسم **"جيش التوحيد"**، ما دفع القضاء السوري إلى تحريك دعوى قضائية ضده بتهم التحريض على الفتنة والعصيان المسلح.

وقد انقسم الموقف من وهاب داخل الطائفة الدرزية اللبنانية **إلى دعم جزئي**، ورفض شعبي وسياسي. فقد صرح هشام الأعور، الأمين العام لحزب التوحيد العربي الدرزي، بأن وهاب -رئيس الحزب- **"مرتاح درزياً إلى أبعد الحدود"**، مشيراً إلى أن الضباط الدروز أبلوا بلاءً حسناً في المواجهات بسوريا،[٢] بل إن بعض المشايخ في كفرحيم أظهروا دعمهم له خلال مراسم عزاء ضحايا السويداء، بحسب تصريحات الحزب.[٣]

لكن من ناحية أخرى، هناك ظهرت بعض المواقف الرافضة والحذرة من تدخل دروز لبنان في سوريا، ففي موقف عزاء أقيم في الشوف، انسحب **وليد جنبلاط** ووفد الحزب التقدمي الاشتراكي فور وصول وهاب، ما أدى إلى **فراغ شبه كامل في الساحة**، في مشهد اعتُبر رسالة سياسية قوية.[٤] وانتقد جنبلاط وهاب علناً، ورفض دعواته للتدخل في سوريا، قائلاً إن "الدروز ليسوا حرس حدود." وردّ عليه وهاب قائلاً إن: "مرجعية الدروز هي الله والحدود الخمسة"[٥]، في إشارة إلى استقلالية القرار الدرزي.[٦]

عاشراً- قراءة تحليلية: طائفة تحكم من الهامش

مع أن الدروز لا يشكلون أكثر من ٥,٢٪ من سكان لبنان، فإنهم تمكنوا من الحفاظ على نفوذ سياسي يتجاوز حجمهم العددي، عبر السيطرة المحكمة على مناطقهم، وبناء شبكات تحالف داخلية وخارجية، واعتماد مبدأ **التحالف المؤقت مع القوي**.

---

[١] القضاء السوري يلاحق وئام وهاب بتهم "التحريض المسلح... " العربي ٢١.
[٢] https://annah.ar/233071
[٣] نفسه.
[٤] https://www.lebanondebate.com/article/724388
[٥] انظر الملحق الثالث في آخر الكتاب لمعرفة الحدود الخمسة في الاعتقاد الدرزي.
[٦] https://kataeb.org/articles/sl-190729

كما ساعدتهم طبيعة لبنان الطائفية على أن يتمترسوا خلف هوية طائفية مغلقة، تمنحهم شعورًا بالاستقلال، وتمنع أي اختراق ثقافي أو ديني خارجي.

وقد أظهر الدروز قدرة فائقة على توظيف الحروب والانقسامات والصراعات لصالح مشروعهم الطائفي، حتى وإن ادّعوا الانفتاح والخطاب المدني، وهو ما يجعل تجربتهم في لبنان نموذجًا مصغرًا عن "ممالك الطوائف" الحديثة.



المصادر والمراجع

- باتريك سيل، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط.
- باتريك سيل، الصراع على سوريا
- تقرير منظمة العفو الدولية عن مجازر الشوف ١٩٨٣.
- يجيس بلاشير، الطوائف في المشرق العربي
- كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث.
- الوثائق الفرنسية عن تدخل ١٨٦٠.
- الصحف اللبنانية (الأخبار، النهار، المستقبل): تغطية أحداث ٢٠٢٥
- Mordechai Nisan, *Minorities in the Middle East.*

(١١)

الدروز في سوريا – من جبل العرب إلى معركة الهوية (٢٠٢٥)

يمثل جبل العرب، المعروف تاريخيًا بجبل الدروز، مركز الثقل الديني والسياسي للطائفة الدرزية في سوريا، ومهدًا لتقاليدها المحلية التي تطوّرت تحت زعامة مشايخ العقل وأسر مثل آل الأطرش. يقع هذا الجبل جنوب دمشق، بمحاذاة الحدود الأردنية، وقد استوطنته قبائل درزية قادمة من لبنان منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر، ليشكل بمرور الوقت منطقة شبه مستقلة عن سلطة الدولة المركزية، خصوصًا في مراحل ضعفها. وبفضل طبيعته الجغرافية الوعرة، حظي الدروز فيه بحماية طبيعية ساعدتهم على الحفاظ على خصوصيتهم العقائدية والاجتماعية. ولم يكن هذا الموقع مجرد موطن للطائفة، بل تحوّل إلى قلبها النابض، ومنصة لانخراطها السياسي المتقلّب، إذ لعب الدروز أدوارًا بارزة منذ أواخر العهد العثماني مرورًا بالانتداب الفرنسي وصولًا إلى عهد البعث، جمعت بين التمرد والكمون، وبين الوطنية والانكفاء الطائفي. وقد تعمّق استقلالهم النسبي عندما منحتهم فرنسا في عشرينيات القرن الماضي حكمًا ذاتيًا، شكّل نواة لزعامات محلية ذات نزعة انفصالية إذا اقتضى الأمر. ومع ذلك، ظل هذا التوازن هشًا، حتى جاءت أحداث عام ٢٠٢٥، فانقلبت المرجعية الدرزية في جبل العرب على الدولة السورية الجديدة بعد سقوط نظام الأسد، وفتحت الباب علنًا لتدخل إسرائيلي مباشر، في خطوة مثّلت تحولًا جذريًا في موقف الطائفة من الدولة والوطن، وكشفت عن نزعة انعزالية عميقة ما زالت تحكم قراراتها المصيرية.

أولاً- الجذور: جبل الدروز والاستعمار الفرنسي

في واحدة من أبرز لحظات التاريخ السوري الحديث، قاد الزعيم الدرزي سلطان باشا الأطرش الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٥، في انتفاضة وُلدت من قلب جبل الدروز الذي كانت فرنسا قد كرّست

له كيانًا مستقلًا منذ عام ١٩٢١، ضمن سياستها في تمزيق بلاد الشام إلى كيانات طائفية (الدروز، العلويون، الموارنة، إلخ). وقد منح هذا الكيان الطائفي للدروز حكمًا ذاتيًا ووسع نفوذ زعاماتهم داخل الجبل، مما أتاح لهم هامشًا سياسيًا لم يكن متاحًا في مناطق أخرى. ورغم هذه الامتيازات، اختار سلطان الأطرش أن يتجاوز الهوية الطائفية ويقود ثورة وطنية شاملة، منطلقًا من السويداء إثر اعتداء فرنسي على بيته، لتتوسع شرارتها إلى دمشق وغوطتها وحوران، في حركة مقاومة اصطدمت بالقوة العسكرية الفرنسية المتفوقة، رغم أنها لم تكن ثورة درزية خالصة، بل شارك فيها المسلمون من دمشق ودرعا وحماة وغيرهم. وانتهت بقمع دموي، لكنها خلّفت إرثًا وحدويًا لا يزال يُذكر بإعجاب حتى اليوم، وجعلت من الأطرش رمزًا وطنيًا جامعًا. ومع ذلك، فإن الطائفة الدرزية لم تحافظ على نهجه الثوري طويلًا، وسرعان ما انكفأت إلى داخل الجبل، معتمدة سياسة "الحياد المسلح" في المراحل التالية، ما أعاد إنتاج الطابع الانعزالي الذي مهّد لاحقًا لتحولات سياسية أكثر تحفظًا في علاقتها بالدولة السورية.

ثانياً- عهد البعث والأسد: ولاء مضطرب

بعد استقلال سوريا عام ١٩٤٦، شارك الدروز في الحياة السياسية بشكل فاعل، فانخرطوا في مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، وبرزت أسماء درزية في البرلمان، وتولّى بعضهم مناصب وزارية ضمن تحالفات مع القوى القومية العربية آنذاك. هذا الانخراط الأولي كان يعكس طموحًا درزيًا للتكامل الوطني والخروج من الحالة الانعزالية. غير أن انقلاب حزب البعث عام ١٩٦٣ غيّر الموازين، حيث دخلت البلاد في طور الحكم الأمني والعقائدي الأحادي، ما أثّر على جميع الطوائف، لا سيما الدروز. فقد أُضعفت الزعامات التقليدية لحساب رجال موالين للنظام، وتمت عسكرة المجتمع الدرزي عبر تجنيد واسع في الجيش، وأُعيد ترتيب مؤسساتهم الدينية لتتوافق مع توجهات البعث. وخلال حكم حافظ الأسد، تم استيعاب عدد كبير من القيادات الدرزية في الأجهزة العسكرية والأمنية، خاصة من آل الأطرش وعائلات نافذة أخرى، فشغلوا مناصب حساسة عززت شعورهم بمكانة خاصة داخل الدولة، دون أن يفقدوا طابعهم المحلي الانعزالي. لكن هذا "الاندماج النسبي "ظل هشًا، إذ

حافظ الدروز على خصوصيتهم في التعليم والدين والتجنيد، واحتفظوا بشبكة علاقات دولية خاصة – لا سيما مع فرنسا والولايات المتحدة – عبر أبنائهم المغتربين، ما أضفى على حضورهم الرسمي طابعًا مزدوجًا بين الانخراط الصامت والانكفاء المحسوب.

ومع دخول سوريا في عهد بشار الأسد، استمر النمط الذي بدأ في زمن البعث: استيعاب النخب الدرزية في مفاصل الدولة العسكرية والأمنية، مقابل تجاهل مطالبهم الثقافية والاجتماعية، وإبقاء الجبل كمنطقة محايدة ظاهريًا لكنها منخرطة ضمن شبكة النظام. ومع تفاقم الفساد وانحسار الشرعية الشعبية، بدأ التململ داخل المجتمع الدرزي يتزايد، لا سيما بين الأجيال الشابة، التي رأت في مؤسسة الجيش عبئًا لا مصدر فخر، حيث تُجنّد ولا تُكافأ، وتُستدعى لحروب لا تعرف لها هدفًا.

ولم يكن هذا التململ بالضرورة سياسيًا، بل أخذ طابعًا اجتماعيًا هادئًا، عبر الامتناع عن التجنيد أحيانًا، والانكفاء من المشاركة في مناسبات الدولة الرسمية، وتزايد الهجرة من الجبل إلى المغتربات. لكن رغم ذلك، ظل الخطاب الرسمي للقيادات الدرزية داخل النظام متمسكًا بالشراكة "الوظيفية" لا "الوجدانية"، حفاظًا على امتيازاتهم داخل مؤسسات الجيش والأمن.

وهكذا، تحوّلت العلاقة بين الدروز والجيش من رمز للاندماج الوطني إلى أداة للضبط الداخلي، ومن مورد نفوذ إلى مصدر تململ، دون أن تحدث قطيعة كاملة، ما جعل المجتمع الدرزي يعيش بين مفردتين متناقضتين : "الشراكة المحسوبة" و"الاغتراب المكتوم."

ثالثاً- شخصيات بارزة من الدروز في المؤسسة العسكرية السورية

في ظل حكم آل الأسد، برز عدد من الضباط الدروز في المؤسسة العسكرية السورية، بعضهم لعب أدوارًا محورية في الجيش والأمن، بينما حافظ آخرون على مواقعهم ضمن توازنات دقيقة بين الولاء للنظام والانتماء الطائفي. إليك أبرز هذه الشخصيات:

الاسم	المنصب أو الدور	ملاحظات
اللواء شرف الدين أحمد	قائد سابق للفرقة الخامسة	لعب دورًا مهمًا في الجنوب السوري، خاصة في السويداء ودرعا
اللواء عصام زهر الدين	قائد في الحرس الجمهوري ثم في قوات النخبة	من أبرز وجوه الحرب السورية، قُتل في دير الزور عام ٢٠١٧، وكان يُروّج له إعلاميًا كبطل قومي
اللواء عبد الله الأطرش	عضو في مجلس الشعب وقائد محلي	رغم أنه لم يكن قائدًا عسكريًا ميدانيًا، إلا أن دوره في المصالحات والتهدئة جعله شخصية مؤثرة في المؤسسة الأمنية
العميد نزيه جربوع	ضابط في الأمن العسكري	ارتبط اسمه بملفات أمنية حساسة في السويداء، خاصة في قضايا التجنيد والاعتقالات

ملاحظة:

- النظام السوري اعتمد على الضباط الدروز في مناطقهم لضبط الأمن المحلي، خاصة في السويداء، لكنه لم يمنحهم قيادة استراتيجية على مستوى الدولة.

رابعاً- الدروز والثورة السورية (٢٠١١-٢٠٢٤)

مع انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١، وجدت الطائفة الدرزية نفسها أمام لحظة مفصلية من تاريخها السياسي، تتوزّع فيها بين الولاء للنظام، والحياد المشوب بالحذر، والمعارضة الصامتة التي تحوّلت لاحقًا إلى مواجهة محدودة. فقد اختارت غالبية القيادات الدينية الرسمية الاصطفاف مع بشار الأسد، تحت ذريعة "حماية الجبل من الفوضى والتكفيريين"، وشهدت السويداء مشاركة الآلاف من شبابها في صفوف الجيش النظامي وميليشيات الدفاع الوطني. هذا الموقف أثار خيبة أمل كبيرة لدى قوى الثورة، خصوصًا

أن مناطق الطائفة كانت مجاورة لبؤر ثورية مشتعلة كدرعا وريف دمشق، ومع ذلك بقيت مغلقة سياسيًا وخارج المعادلة الوطنية العامة.

في المقابل، ظهرت أصوات شبابية داخل السويداء تدعو إلى الحياد وعدم الانخراط في الحرب، وتشكّلت لجان محلية لحماية المناطق دون تبنّي موقف مؤيد للنظام أو للمعارضة. برز الشيخ وحيد البلعوس بوصفه قائدًا دينيًا مؤثرًا، رفع شعار "لا للدولة ولا للمعارضة"، ودعا إلى حماية الجبل فقط، لكن اغتياله في تفجير غامض سنة ٢٠١٥ – والذي اتُّهم النظام بالضلوع فيه – أحدث شرخًا داخليًا سرعان ما أعيد احتواؤه.

وفي الفترة بين ٢٠٢٠ و٢٠٢٤، بدأت تظهر مجموعات مسلّحة محلية داخل السويداء، رافضة لوجود الميليشيات الإيرانية وقوات الأسد، ودعت إلى إخراجها من الجبل، دون أن تنخرط في القتال خارج مناطقها. وقد تبنّت هذه الفصائل خطابًا مدنيًا يقول: "نحن لا نريد إسقاط الدولة، بل طرد الفاسدين منها"، معبّرة عن حالة تمرّد جزئي ضد النظام دون تفريط بالخصوصية المحلية. وهكذا تجلّى بوضوح أن الطائفة الدرزية ليست كتلة صلبة، بل كيان متشظّي داخليًا، يحتوي تنوعًا في المواقف والرؤى، ويتقلّب بين الانكفاء السياسي والانفجار المحلي وفقًا للظروف والتهديدات.

خامساً- سقوط الأقنعة – فتنة ٢٠٢٥

مع سقوط نظام الأسد في ديسمبر ٢٠٢٤، ودخول البلاد مرحلة بناء الدولة السورية الجديدة، **انقلبت المرجعية الدينية الدرزية ممثلة بالشيخ حكمت الهجري على الحكومة الجديدة،** وبدأت مرحلة من التمرد المسلح في محافظة السويداء، تحت ذرائع واهية مثل "دفاع الأقليات عن وجودها" و"رفض التدخلات السلفية."

لكن الواقع أثبت أن التمرد جاء بعد رفض الحكومة الجديدة منح الطائفة ميزات فوقية، أو الإبقاء على حالة الحكم الذاتي غير المعلن التي تمتعت بها السويداء خلال الفوضى. كما كشفت التسريبات عن لقاءات جرت بين قيادات درزية وأجهزة أجنبية، وخاصة مع ممثلين عن الاحتلال الإسرائيلي.

سادساً- تدخل إسرائيلي سافر وقصف لدمشق

في **١٦ تموز ٢٠٢٥**، وفي سابقة خطيرة، **طلب الشيخ حكمت الهجري علنًا الحماية من إسرائيل**، بدعوى أن الدولة الجديدة "تُهدد الوجود الدرزي". وبالفعل، شنت إسرائيل غارات جوية على العاصمة دمشق، واستهدفت مواقع عسكرية قيل إنها تستعد لاقتحام السويداء.

وقد أدان الشعب السوري هذا التدخل بشدة، وخرجت مظاهرات حاشدة في دمشق وحمص وحلب ترفض "الطابور الخامس" الذي فتح البلاد للعدوان من جديد. واعتبرت الحكومة المؤقتة هذا التصرف "خيانة وطنية كبرى"، وبدأت **معركة تحرير السويداء** من أيدي الميليشيات الدرزية الخارجة عن القانون.

سابعاً- مجازر الدروز ضد الجيش

في الأيام التالية، وقعت **مجازر مروعة** ارتكبتها ميليشيات درزية بحق عناصر من الجيش السوري في القرى الغربية من محافظة السويداء. وقد تم توثيق حالات ذبح وسحل علنية، وتسجيلات مصورة تفيد بتورط عناصر درزية محلية في التنسيق مع الاحتلال الإسرائيلي، من خلال الطائرات المسيّرة.

وكان لهذه المجازر وقع الصدمة على الشارع السوري، الذي لم يكن يتوقع أن تصل خيانة بعض أبناء الوطن إلى هذا الحد، خصوصًا أن الجيش السوري بعد الثورة بات يشكل بوتقة وطنية جامعة من كافة الطوائف.

ثامناً- سقوط قناع "الفرقة المحايدة"

لأكثر من قرن، روّج الدروز في سوريا لنفسهم بأنهم "الفرقة المسالمة" و"الحيادية" في كل صراع. لكن مجريات ٢٠٢٥ فضحت هذا القناع، وكشفت عن حقيقة ارتباطات دولية، وعن مشروع طائفي درزي لا يختلف كثيرًا عن المشاريع الانفصالية الأخرى.

لقد أثبتت أحداث السويداء أن الولاء الوطني ليس مجرد شعارات، وأن حماية الجبل لا تكون بالاستقواء بإسرائيل أو بذبح الجنود، بل بالاندماج في مشروع وطني جامع، يساوي بين الجميع، ويرفض الوصاية والتفوق الطائفي.[١]



المصادر والمراجع

- تقارير مركز كارنيغي عن الجنوب السوري
- تقرير المرصد السوري لحقوق الإنسان – تموز ٢٠٢٥
- توماس بيريه، الدين والسياسة في سوريا
- باتريك سيل. الصراع على سوريا
- مقابلات ميدانية وتقارير صحفية عن حراك السويداء (٢٠٢٠-٢٠٢٤)
- ملفات وثائق الثورة السورية (٢٠٢٥)، أرشيف الحكومة المؤقتة
- وكالة الأنباء السورية الحرة – تغطية أحداث تموز ٢٠٢٥

---

[١] لا تزال السجالات محتدمة بين قوات الدولة السورية والدروز المنشقين أتباع الهجري في السويداء إلى لحظة كتابة هذه السطور.

(١٢)

الدروز في فلسطين: من جيش الانتداب إلى لواء جولاني

لم تكن بلاد فلسطين غريبة عن الوجود الدرزي، فقد شهدت منذ مراحل مبكرة من العهد العثماني توطنًا للطائفة الدرزية في مناطق جبلية قريبة من الشريط الساحلي، لا سيما في الجليل الأعلى، مثل دالية الكرمل ويَرْقا وعسفيا. وعلى الرغم من محدودية هذا التمركز عددًا مقارنة بالتجمعات الكبرى في جبل لبنان وجبل العرب، فقد بدأ أثره السياسي والاجتماعي يتصاعد تدريجيًا منذ أواخر القرن التاسع عشر، ليبلغ نقطة تحول مفصلية مع قيام الاحتلال البريطاني ثم الدولة الصهيونية على أنقاض فلسطين. وعلى خلاف الصورة النمطية عن الأقليات الدينية في فلسطين، قدَّم الدروز نموذجًا مغايرًا في تفاعلهم مع المشروع الصهيوني، حيث شهدت سنوات الانتداب البريطاني صعود طبقة درزية موالية للإنجليز ثم للصهاينة، حتى أصبح الدروز الفلسطينيون اليوم جزءًا من المنظومة الصهيونية، يشاركون في جيشها وفي هياكلها الأمنية والسياسية. كيف حدث هذا التحول؟ وكيف أصبحت الطائفة الدرزية، التي شاركت أحيانًا في المقاومة، جزءًا من المنظومة التي قامت على اقتلاع شعبها؟ هذا الفصل يحاول تحليل الجذور التاريخية والمآلات السياسية لهذا الاصطفاف المعقد.

أولاً- من التهميش العثماني إلى الاحتواء البريطاني

كان وجود الدروز في فلسطين خلال العهد العثماني هامشيًا مقارنة بنظرائهم في جبل لبنان وجبل العرب، إذ اقتصر حضورهم على قرى جبلية محدودة في الجليل الأعلى، مثل دالية الكرمل وعسفيا، وتمتعوا ببعض الاستقلال المحلي تحت مظلة الولاء الرمزي للسلطان. وقد اتسمت علاقاتهم بجيرانهم المسلمين بهدوء نسبي، رغم توترات متفرقة خلال فترات الاضطراب، وظلوا بعيدين عن الحركات السياسية أو الجهادية الفلسطينية،

مفضلين التموضع على هامش الصراعات، والتحالف مع القوة الأقوى في كل مرحلة. ومع الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧، استمر هذا النمط في السلوك السياسي، إذ اختار الدروز الحياد ثم الميل إلى الموالاة للسلطة الجديدة، متأثرين بموقف زعاماتهم في جبل لبنان، الذين كانت تربطهم علاقات وثيقة بالضباط الإنجليز منذ حملة نابليون وما بعدها، مثل آل أرسلان وآل يزبك. وفي ظل هذه الخلفية، بدأت بريطانيا بفتح قنوات تواصل مع الطائفة الدرزية، مستغلة حرصها على الاستقرار، فقامت بتجنيد عشرات الشبان منهم في أجهزة الأمن، لا سيما في "قوة الشرطة المساعِدة أو الخاصة" لقمع الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦–١٩٣٩)،[١] مما مهّد لتشكّل بيئة سياسية درزية موالية لبريطانيا، ستتحول لاحقًا إلى إحدى بوابات الاندماج التدريجي في المشروع الصهيوني.

ثانياً- علاقة مبكرة بالحركة الصهيونية

شهدت العلاقة بين الدروز والحركة الصهيونية بدايات مبكرة خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦–١٩٣٩)، حين لجأ بعض زعماء الطائفة إلى تحالف ضمني مع الوكالة اليهودية تحت شعار "الحياد"، وهو ما استغلته القيادات الصهيونية لبناء جسور ثقة مع أبناء الطائفة. ووفقًا للمؤرخ الإسرائيلي يوناتان شابيرا، فإن الاتصالات الأولى بين الطرفين بدأت منذ أواخر الثلاثينيات، وتمحورت حول إمكانية التعاون في حال اندلاع صراع شامل. وخلال العقود التالية، وخاصة في أربعينيات القرن العشرين، تكثّف هذا التقارب ضمن سياسة صهيونية مدروسة تهدف إلى "تحييد الأقليات" واستقطابها، وقد نجحت هذه السياسة إلى حد بعيد. فعند إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، كانت الطائفة الدرزية أول طائفة غير يهودية تعلن اعترافها بالدولة الجديدة، بل تطوع بعض أفرادها في صفوف "الهاجاناه"، القوة العسكرية للصهاينة، وانخرطوا لاحقًا في الهجمات على قرى عربية

[١] ومن المهام التي أوكلت إليهم: حماية الطرق والمرافق الحيوية، مرافقة القوافل العسكرية البريطانية، وتنفيذ عمليات دهم واعتقال ضد الثوار الفلسطينيين، خاصة في المناطق الجبلية. والجدير بالذكر أن هذه القوات المساعدة أو الخاصة كانت تضم أيضاً رجالاً من الشركس والبدو. وهذا كان دأب المحتل، الاستعانة بأفراد من مجموعات محلية غير عربية أو من الأقليات لنشر التفرقة والكراهية بين أبناء الوطن الواحد.

مجاورة في الجليل. وهكذا تشكّلت نواة العلاقة التي ستتحول لاحقًا إلى شراكة أمنية وسياسية دائمة بين الدروز والكيان الإسرائيلي، ما يجعل هذا الملف من أكثر الجوانب حساسية وإثارة للجدل في التاريخ الفلسطيني الحديث.

ثالثاً- الحرب والتجنيد والهوية الجديدة (١٩٤٨-١٩٦٠)

بعد قيام الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨، بادرت القيادة الجديدة إلى فرض التجنيد الإجباري على الدروز سنة ١٩٥٦، في خطوة استثنائية لم تُفرض على باقي العرب داخل الأراضي المحتلة. ورغم ظهور معارضة محدودة من بعض وجهاء الطائفة، فإن غالبية الدروز انخرطوا تدريجيًا في الجيش الإسرائيلي، وشاركوا في عملياته العسكرية، بدءًا من العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وصولًا إلى اجتياح لبنان عام ١٩٨٢. وقد برز من بينهم ضباط في وحدات مشاة النخبة مثل "لواء جولاني"، إضافة إلى أقسام استخباراتية أسندت إليهم مهامًا تتعلق بالعرب. ومن بين الأسماء المعروفة ظهر عاموس يركوني كقائد عسكري، بينما دخل منصور عباس لاحقًا المشهد السياسي داخل إسرائيل. وترافقت هذه المشاركة العسكرية مع حملة إسرائيلية مكثفة لتشكيل هوية درزية منفصلة عن السياق العربي والإسلامي، حيث فُرضت على المدارس مناهج تعليمية خاصة، وأُنشئت مجالس دينية وقضائية مستقلة، واعتُرف بالدروز كطائفة متميزة عن المسلمين والعرب ضمن سياسة "الفرّق تسُد"، التي هدفت إلى فصلهم عن القضية الفلسطينية وإعادة صياغة ولائهم في إطار الهوية الإسرائيلية الجديدة.

رابعاً- الأصوات المعارضة.. ولكن

رغم الانخراط الواسع لبعض أبناء الطائفة الدرزية في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية منذ فرض التجنيد الإجباري عام ١٩٥٦، برزت أصوات ترفض هذا المسار وتُؤكد انتماء الدروز العربي الفلسطيني .من بين هذه الأصوات، الناشط **أمير مخول،** الذي يُعد من أبرز المدافعين عن الهوية الفلسطينية في الداخل، رغم أنه ليس درزيًا، بل مسيحي من حيفا. كما تعاون **الشيخ رائد صلاح،** رئيس الحركة الإسلامية في الداخل، مع شباب دروز رافضي الخدمة، في إطار دعمهم المعنوي والسياسي.

وقد شكّلت حركة **"ارفض – شعبك بيحميك"** منذ انطلاقتها عام ٢٠١٤ نقطة تحول في مناهضة التجنيد الإجباري، حيث جمعت ناشطين وناشطات من مختلف الطوائف والمناطق، وسعت إلى كسر الصورة النمطية عن الدروز، وإعادة وصلهم بالهوية الفلسطينية الجامعة.

ومع ذلك، بقي تأثير هذه الحراكات محدودًا نسبيًا، بفعل عوامل بنيوية، أبرزها **هيمنة شبكات المصالح الاقتصادية المرتبطة بالخدمة العسكرية، والارتباط العائلي بالمؤسسات الأمنية، إضافة إلى التضييق القانوني والنفسي الذي تمارسه الدولة الإسرائيلية على الرافضين، بما في ذلك التهديد بالسجن وحرمانهم من الامتيازات الاجتماعية.**

كما ساهمت **السياسات التعليمية المنفصلة**، وتكريس "الهوية الدرزية الإسرائيلية"، في تعميق القطيعة بين الدروز وباقي مكونات الشعب الفلسطيني، رغم استمرار وجود تيارات رافضة داخل الطائفة، تسعى إلى استعادة الانتماء الوطني وتفكيك خطاب الأسرلة.

خامساً- موقف الدروز من الانتفاضات والقضية الفلسطينية

خلال نكبة عام ١٩٤٨، لم تُسجل للطائفة الدرزية أي مشاركة فاعلة في المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال، بل تشير مصادر متعددة إلى تورط بعض المجموعات الدرزية المسلحة في تقديم دعم ميداني للعصابات الصهيونية، سواء من خلال الإرشاد في التضاريس الجبلية أو التبليغ عن تحركات الفدائيين. هذا التموضع المبكر أخذ يتكرّس لاحقًا، إذ لم ينخرط الدروز في أي من الانتفاضات الفلسطينية، لا الأولى (١٩٨٧–١٩٩٣) ولا الثانية (٢٠٠٠–٢٠٠٥)، وظل الخطاب الرسمي لقياداتهم داخل الكيان أقرب إلى الولاء للدولة اليهودية منه إلى المطالب الوطنية الفلسطينية. وخلال الانتفاضة الأولى، اكتفى بعض الشباب بالمشاركة الرمزية في النشاطات المدنية، بينما كان الموقف العام يميل إلى الحياد الحذر. أما في الانتفاضة الثانية، فقد كانت نسبة مشاركة الدروز شبه معدومة، بل شاركت بعض وحداتهم في قمع الاحتجاجات داخل مناطق الخط الأخضر. وقد برز عدد من القيادات الدرزية – أمثال أيوب قرا – بدعم مشاريع "يهودية الدولة"، ورفض الاعتراف بالنكبة، بل ذهبوا إلى مهاجمة مناهج التعليم العربي، في مسارٍ سياسي يرسّخ القطيعة بين الدروز

والهوية الفلسطينية، ويعكس توجهًا متزايدًا نحو التطبيع مع إسرائيل والانخراط في بنيتها السياسية.

سادساً- دروز اليوم: بين الولاء والهوية المبتورة

رغم أن الدروز يشكلون نحو ١٫٦٪ من سكان إسرائيل، ويخدم حوالي ٨٥٪ من شبانهم في الجيش، ويتمتعون بتمثيل في الكنيست وأجهزة الأمن، إلا أنهم لا يُعاملون كمواطنين كاملي الحقوق، بل يتعرضون لتمييز واضح في مجالات التوظيف والبنية التحتية. وقد كشفت هذه الحقيقة بشكل صارخ مع إقرار قانون "يهودية الدولة" عام ٢٠١٨، الذي نصّ على أن حق تقرير المصير حكر على اليهود، الأمر الذي شكّل صدمة كبيرة داخل المجتمع الدرزي وفجّر احتجاجات واسعة، سرعان ما خمدت بعد وعود حكومية بتقديم تعويضات مالية وتحسينات خدمية. ومع مرور الوقت، تعمّقت الهوّة بين الدروز وبقية عرب ١٩٤٨، خاصة مع مشاركة كثير من شبابهم في العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد العرب، داخل فلسطين وخارجها، بدءًا من جنوب لبنان إلى غزة. ومع أن هذه المشاركة عزّزت مكانة الدروز في المؤسسة العسكرية، فإنها لم تحُل دون شعور قطاع منهم بالتهميش الوطني، بل ولّدت حالة من الفصام القومي: بين هوية عربية مستبعدة، وخدمة فعلية تحت راية الدولة التي تنكر لهم حق المواطنة الكاملة. وفي السنوات الأخيرة، ظهرت أصوات درزية تطالب بإلغاء التجنيد الإجباري والعودة إلى الحاضنة العربية، لكنها بقيت خافتة أمام نفوذ المؤسسة العسكرية داخل المجتمع، وما يرتبط بها من شبكات مصالح وامتيازات يصعب تفكيكها.

سابعاً- نموذج "التحالف مع العدو"

قد يرى البعض في سلوك الدروز تجاه المشروع الصهيوني صورة من البراغماتية السياسية، حيث اختاروا الانحياز للقوة المسيطرة حفاظًا على الذات وبحثًا عن الحماية والخصوصية. غير أن القراءة العقائدية والسياسية العميقة تكشف أن هذا الميل ليس مجرد تكتيك ظرفي، بل هو امتداد لنظرة دينية داخلية تتبناها الطائفة، ترى فيها نفسها كيانًا منفصلًا عن محيطها الإسلامي والعربي، بل خصمًا له أحيانًا، مدفوعة بعقائد الغلو والانعزال والاصطفاء. ومن هنا، يمكن فهم الانخراط البنيوي للدروز في المشروع

الاستيطاني الإسرائيلي على أنه أحد أخطر نماذج "تحالف الأقليات مع الاحتلال"، إذ ارتبط هذا التماهي بإحياء إسرائيل للروح الطائفية، واستغلال الإقصاء العربي الداخلي، وضعف الاندماج القومي في مرحلة ما قبل النكبة. غير أن هذا التحالف، رغم ما قدمه من امتيازات أمنية ومؤسسية، لم يحمِ الدروز من التهميش البنيوي داخل الدولة الإسرائيلية، بل وضعهم في موضع الشك والرفض من أغلبية مكونات الشعب الفلسطيني والعربي، وأفقدهم جزءًا كبيرًا من رصيدهم التاريخي في جبل الكرمل والجليل.

ثامناً- موقفهم من غزة والضفة وسوريا

كان موقف الدروز في فلسطين – في عمومه – سلبيًا من قضايا الشعب الفلسطيني، لا سيما في غزة والضفة. ففي أثناء حرب ٢٠٢١ و٢٠٢٣ على غزة، **لم تشهد القرى الدرزية احتجاجات أو فعاليات تضامن**، بل شارك بعض أبناء الطائفة في قصف القطاع ضمن وحدات الجيش.

وفي الضفة الغربية، يُعرف عناصر من الطائفة بخدمتهم في وحدات "حرس الحدود" المتورطة في الاعتقالات والاقتحامات.

أما بالنسبة لسوريا، فقد **أيّد معظم دروز فلسطين – بقيادة مشيخة الكرمل – تدخل إسرائيل الأخير في السويداء**، وقالت تصريحات درزية علنية إن على إسرائيل "حماية إخوتنا في الجبل."

وهكذا، تكتمل صورة الارتباط الأمني والسياسي والثقافي بين الدروز داخل فلسطين المحتلة، والدروز المتحالفين مع إسرائيل خارجها.



المصادر والمراجع

- تقارير حركة "أرفض" ٢٠١٥–٢٠٢٢
- فرناز عطية أحمد. الطوائف الدينية والأمن القومي الإسرائيلي. المعهد المصري للدراسات.
- صحيفة "هآرتس" العبرية – تقارير خاصة عن الدروز في الجيش
- مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين.

- أحمد مصطفى الغر. الدروز في الدولة الصهيونية، مجلة البيان.
- الوثائق العبرية المفرج عنها بخصوص التعاون الدرزي–الصهيوني (أرشيف الجيش الإسرائيلي).
- وليد الخالدي، كي لا ننسى: القرى الفلسطينية التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨.

- Aref al-Aref, *The Tragedy of Palestine*, vol. 1–2.
- Israel and the Druze, by Mordechai Nisan.
- Kais Firro, *The Druzes in the Jewish State: A Brief History*, Brill, 1999.
- Mahmoud Yazbak, “Druze and Jews in Palestine,” in *International Journal of Middle East Studies*, 2002.
- Yehoshua Porath, *The Palestinian Arab National Movement*
- Yoni Shapiro, *The Role of Minorities in the Israeli Military*

(١٣)

الدروز في سوريا: من الحياد إلى العداء – تحوّلات الطائفة في مرحلة الثورة وما بعدها

لطالما ارتبط اسم "جبل الدروز" – أو "جبل العرب" – بالهوية الوطنية السورية، وبدور بارز في مقاومة الاحتلال الفرنسي، حتى بات سلطان باشا الأطرش رمزًا وطنيًا يتجاوز حدود الطائفة. لكن بعد اندلاع الثورة السورية عام ٢٠١١، شهدت الطائفة الدرزية في سوريا تحوّلات حادة في مواقفها، تدرّجت من الحذر والحياد إلى التماهي مع النظام، ثم أخيرًا إلى التمرّد عليه والاحتماء بإسرائيل، كما حصل في أحداث ٢٠٢٥.

هذا الفصل يرصد تلك التحوّلات، ويحلل العوامل المؤثرة فيها، ويناقش مستقبل العلاقة بين الدولة السورية الجديدة وهذه الطائفة بعد تمردها الدامي.

أولاً- الحذر والحياد: بداية الثورة

مع اندلاع الثورة السورية في درعا، كانت السويداء – معقل الدروز – قريبة جغرافيًا، لكنها بعيدة سياسيًا. فقد تبنى مشايخ العقل والمجالس الروحية الدرزية موقفًا حذرًا من الثورة، ودعوا إلى "عدم الانخراط في الفتنة" حسب تعبيرهم، بينما كانت قوات الأمن ترتكب المجازر في درعا المجاورة.

في البداية، رفضت الطائفة التدخل في القتال، لكنها في الوقت نفسه **لم تدِن القمع**، بل وفّر بعض وجهائها غطاءً أخلاقيًا للنظام، مقابل تعهد الأخير بعدم سحب أبنائهم للخدمة في المناطق الساخنة.

لكن هذا "الحياد" كان **صوريًا في نظر الثوار**، خاصة حين أُرسل عناصر درزية للخدمة في مؤسسات أمنية وعسكرية انخرطت في القمع.

ثانياً- مرحلة التماهي مع النظام

بحلول عام ٢٠١٣، وبعد بروز الطابع الطائفي للصراع، **بدأ بعض وجهاء الدروز ومشايخهم بالانحياز العلني للنظام،** بزعم أنّه يحمي الأقليات من "الإرهاب السنّي"، كما ظهر في خطابات مشايخ عقل مثل يوسف جربوع وحكمت الهجري.

أنشأ النظام "الفيلق الأول" في السويداء، وربط أمن المحافظة بالمخابرات الجوية، وسُمح للدروز بتشكيل ميليشيات محلية تحت عنوان "الدفاع الوطني"، كانت مهمتها حماية الجبل وملاحقة الناشطين المعارضين فيه.

لكن بالتوازي، ظهرت أصوات درزية شابة مناهضة للنظام، وخرجت مظاهرات في بلدة القريا ومناطق أخرى، سرعان ما قُمعت أو أُفرغت من مضمونها.

ثالثاً- الدروز بين "داعش" والنظام: اللعب على التخويف

اعتمد النظام خطاب التخويف من "الإرهاب السنّي" لإبقاء الدروز إلى جانبه، خصوصًا بعد اقتراب تنظيم داعش من أطراف الجبل. وقد غذّى النظام هذه الفزاعة عبر تسهيل تمدد التنظيم، ثم استخدامه ذريعة للسيطرة العسكرية الكاملة على المحافظة.

في يوليو ٢٠١٨، نفذ تنظيم داعش **مجزرة بشعة بحق المدنيين الدروز في السويداء، قُتل فيها أكثر من ٢٠٠ شخص** .ورغم اتهام النظام نفسه بالتواطؤ والسماح بالتسلل، استثمر النظام المجزرة لابتزاز الطائفة واستقطابها مجددًا، وهو ما نجح نسبيًا لفترة محدودة.

رابعاً- ما بعد سقوط الأسد: تبدّل التحالفات

في ديسمبر ٢٠٢٤، ومع سقوط النظام وفرار بشار الأسد إلى موسكو، دخلت سوريا عهدًا جديدًا، وأعلنت المعارضة المسلحة والهيئات المدنية عن قيام دولة وطنية سورية جديدة، ديمقراطية وغير طائفية.

وقد استقبلت معظم المدن السورية هذا الحدث بالفرح والاحتفال، لكن **السويداء بقيت مترددة وصامتة** .ظهرت دعوات للمصالحة والانخراط،

وأرسلت الدولة وفودًا رسمية إلى السويداء، إلا أن قيادات دينية وعلى رأسها الشيخ **حكمت الهجري** اتخذت موقفًا عدائيًا، ورفضت الاعتراف بالدولة الجديدة.

خامساً- تمرد حكمت الهجري وتحالفه مع إسرائيل

في يونيو ٢٠٢٥، أعلن حكمت الهجري من السويداء أن "ما حدث في دمشق انقلاب على العهد" و"خطر على الجبل وأمنه الطائفي"، وزعم أن الدولة الجديدة "ستجتاح السويداء وتسحق الأقليات."

وفي ١٥ تموز ٢٠٢٥، طلب حكمت الهجري من إسرائيل رسميًا **توفير الحماية الدولية للسويداء،** وهدد باللجوء إلى الانفصال إن لم تُحترم "الخصوصية الدرزية."

استجابت إسرائيل سريعًا، **وشنت غارة جوية فجر ١٦ تموز على دمشق،** مستهدفة مقر وزارة الدفاع قرب ساحة الأمويين، ومنشأة قريبة من القصر الجمهوري. وادعت إسرائيل أن هذه الضربات هي "دفاع عن الأقليات في وجه التهديد الإسلامي الراديكالي. وحسب تصريح وزارة الصحية السورية، فقد قتل في هذه الضربات ٣ أشخاص وأصيب ٢٣ آخرون.[١]

في الوقت نفسه، اندلعت معارك عنيفة في السويداء، بعد أن هاجمت ميليشيات درزية موالية للهجري مواقع للجيش السوري الجديد، وارتكبت **مجازر بحق الجنود في بلدة عتيل ومحيط مدينة صلخد**.

وقد خلّفت هذه المعارك أكثر من ٤٠٠ قتيل في أسبوع واحد، وأدت إلى تهجير مئات العائلات، في مشهد صادم أعاد إلى الأذهان **أحداث ١٨٦٠، لكن بصورة مقلوبة هذه المرة.**[٢]

---

[1] https://en.wikipedia.org/wiki/July_2025_Damascus_airstrikes

[٢] ونحن نكتب هذه السطور، تصلنا أنباء وتقارير عن جرائم عصابات الهجري في حق البدو السوريين في السويداء من تهجير وقتل لشبابهم واغتصاب لنسائهم وحرق لمساجدهم. وبذلك تكشف هذه العصابات عن وجهها العميل للنصيرية وللصهيونية، وعدائها القبيح لأهل الإسلام. بل تطور الأمر -لاحقاً- لإعلان دولة لهم في منطقة الجبل، وخروج الهجري في بث إعلامي على الملأ يشكر إسرائيل حكومة وشعباً، ويطالب المحكمة الجنائية الدولة بمحاسبة الدولة السورية على "جرائمها في السويداء" وحماية الدروز فيها، بينما في صفوف ميليشياته

سادساً- دلالات التمرّد وأبعاده

تكشف هذه الوقائع أن الطائفة الدرزية، رغم ما يُشاع عن حيادها، **لم تكن بعيدة عن مراكز القرار والتحالفات منذ عقود**. فقد انحازت أغلب القيادات الدرزية في سوريا – الدينية والاجتماعية – إلى النظام الاستبدادي، ثم إلى إسرائيل، مقابل الحفاظ على الذات الطائفية.

أما تمرد حكمت الهجري فكان **ذروة هذه النزعة الانعزالية**، التي ترى في الدولة الوطنية تهديدًا، وفي إسرائيل حليفًا استراتيجيًا.

وقد سقط القناع عن خطاب "الوحدة الوطنية" الذي كان كثير من الزعامات الدينية يردده، وتبيّن أن **الهوية المذهبية المغلقة أولى عندهم من الوطن والدين**.

سابعاً- الموقف الشعبي الدرزي: هل هناك استثناء؟

رغم هذا المشهد القاتم، ظهرت في السويداء وبعض قرى الجبل أصوات شبابية نددت بالتحالف مع إسرائيل، وخرجت مجموعات مستقلة أعلنت دعمها للدولة الجديدة، ورفضها لتمرد حكمت الهجري.

كما لجأت عشرات العائلات إلى مناطق درزية في الجولان المحتل رفضًا للقتال، بينما فتحت بعض القرى أبوابها للنازحين.

لكن هذه الأصوات ما تزال **هامشية ومعزولة عن القيادة الدينية والسياسية للطائفة**، وتُواجه بالتحريض والتخوين، ما يجعل مستقبل التعايش محفوفًا بالمخاطر.

ثامناً- التحديات القادمة للدولة السورية الجديدة

مطلوبون للعدالة من فلول نظام الأسد من أمثال: اللواء جاد الله قيصر قائد طيران متورط في قصف مدن وبلدات سورية، والعميد جهاد غوطاني، من الحرس الجمهوري، والعميد عصام سلمان مزهر، طيار حربي، والعميد أسامة زهر الدين، والعميد سامر الشعراني، والعميد شكيب أجود نصر، والعميد أنور عادل رضوان، والمقدم يحيى ميا، وغيرهم، وكل هؤلاء متورطون بجرائم ضد الشعب السوري من تعذيب وقتل وتفجير. (انظر تقرير زمان الوصل).
بل حدث بعد ذلك ما هو أكبر، رفع أنصار الخائن حكمت الهجري أعلام الكيان الإسرائيلي مطالبين بالانضمام إلى دولة الكيان الإسرائيلي!

تواجه الدولة الجديدة في سوريا تحديًا حساسًا مع الطائفة الدرزية، بين **خيار المواجهة العسكرية الكاملة، أو محاولة احتوائهم دون مكافأة على تمردهم**.

كما تطرح هذه الأحداث سؤالًا وجوديًا حول إمكانية بناء دولة وطنية تحتضن الجميع، في ظل وجود طوائف لا تؤمن أصلًا بالمواطنة، وتفضل الاحتماء بالخارج.

من الضروري **الفصل بين العامة والبسطاء من الدروز، وبين النخبة المتورطة في التحريض والعمالة لإسرائيل**، مع فتح أبواب العدالة الانتقالية والحوار لمن يرغب فعليًا في الانخراط في الدولة الوطنية الجامعة.



المصادر والمراجع:

- تقارير الجزيرة، ومركز جسور عن تطورات السويداء
- تقارير الشبكة السورية لحقوق الإنسان
- خطابات حكمت الهجري المصورة (٢٠٢٤-٢٠٢٥)
- دراسات المركز العربي للأبحاث – فرع الدوحة
- صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية: تغطية القصف الإسرائيلي على دمشق
- تقرير موقع "زمان الوصل"

الباب الخامس

التقييم والعقيدة في الميزان

(١٤)

الدروز بين السرية والشفافية – إشكاليات الفهم

من بين أبرز السمات التي تميز الطائفة الدرزية عن غيرها من الطوائف في العالم الإسلامي والمشرقي، تلك السرية المطلقة التي تحيط بعقيدتها، وتعاليمها الدينية، وحتى بنية علمائها ودور العبادة فيها. هذه السرية ليست عرضية أو تاريخية فقط، بل تكاد تكون عنصرًا جوهريًا في بنيتها العقائدية والاجتماعية منذ نشأتها الأولى في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، في زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله.

لماذا يرفضون النقاش العقدي؟

الدرزية ليست مذهبًا ضمن المذاهب الإسلامية المعروفة التي تقبل الحوار والنقاش العقدي، بل هي عقيدة مغلقة، لا يُباح مضمونها إلا لنخبة يسمونهم "العقال"، ويُمنع عامة الدروز من الاطلاع على مضامينها، فضلًا عن غير الدروز. بل إن أتباع الطائفة لا يملكون الحق في قراءة كتبهم الدينية – التي تُعرف بكتب "الحكمة" – ما لم يبلغوا سنًّا معينة ويُجتازوا طقوسًا خاصة للدخول في "الدين."

هذا الانغلاق لا يُبرَّر اليوم – كما يُفعل أحيانًا – بالخوف من الاضطهاد أو الملاحقة، بل هو جزء من تركيبة باطنية تعود جذورها إلى الطرائق الإسماعيلية الغنوصية التي تميزت بفكرة "الظاهر والباطن"، واحتكار الحقيقة من قبل النخبة، واعتبار العامة غير مؤهلين لفهم "الحقائق العليا."

وقد أدّى هذا الإغلاق إلى فجوة معرفية عميقة بين الطائفة وباقي مكونات المجتمع الإسلامي، كما خلق شعورًا بالريبة والشك من قبل المحيط، وتحوّل إلى جدار عازل يمنع الحوار والنقد والنقاش.

خطورة الغموض العقائدي

هذا الغموض العقدي الذي تحرص الطائفة على إبقائه قائمًا له تداعيات عميقة، ليس فقط على مستوى المعرفة، بل على مستوى العلاقة مع بقية الأمة.

أولاً، إن الغموض يمنع أي إمكانية للتصحيح أو التجديد أو حتى المراجعة. فالعقائد، بطبيعتها، تحتاج إلى فضاء من النقاش لتتطور أو تُفهم. أما العقيدة التي تُحاط بالسرية وتُمنع من التداول العام، فإنها تصبح عرضة للتحجر أو الانحراف أو حتى التقديس غير الواعي.

ثانيًا، إن هذا الغموض يعرقل الاندماج في المحيط الإسلامي، ويصعّب من إمكانية بناء جسور من الثقة. فكيف يمكن لمجتمع أن يثق بطائفة لا يعرف عنها شيئًا، ولا يسمح له حتى بسؤالها عن معتقداتها؟

ثالثًا، وهو الأخطر، أن الغموض العقدي استُخدم – في حالات كثيرة – كسلاح سياسي، لتبرير تحالفات متقلبة، وولاءات لأنظمة أو قوى معادية للأمة، من دون أن تتمكن الأمة من فهم الخلفيات الفكرية والدينية لهذه المواقف، أو محاورة الطائفة بشأنها.

وأخيرًا، فإن هذا النمط من الإخفاء الممنهج يُعطي الانطباع – حتى إن لم يكن مقصودًا – بأن الطائفة تخفي شيئًا يتناقض مع الإسلام أو مع مصالح الأمة، وهو ما يُفاقم الشكوك، حتى بين المعتدلين والمطالبين بالتعايش.

لذلك، فإنّ هذا الفصل لا يهدف إلى "فضح" الطائفة كما قد يُتهم أصحابه، بل إلى فتح باب الحوار الصريح، والنقاش المنهجي، الذي يُخرج المسألة من منطق "الطابو" إلى منطق "المكاشفة" و"الصدق العقدي."



المصادر والمراجع المقترحة

- **إحسان إلهي ظهير**، الإسماعيلية: تاريخها وعقائدها
- **رسائل الحكمة** — النص العقائدي الأساسي لدى الطائفة الدرزية
- **كايس فيرو**، الدروز في الدولة اليهودية: موجز تاريخي

(١٥)

نحو فهم سنّي لواقع الطائفة الدرزية اليوم

لطالما شكّلت الطائفة الدرزية موضوعًا شائكًا في أوساط علماء أهل السنّة والجماعة، إذ جمعت بين الغموض العقدي، والانغلاق المذهبي، والتحالفات السياسية المتناقضة، مما صعّب إصدار أحكام فقهية دقيقة أو مواقف دعوية متوازنة تُنصفهم دون تبرئة غير مبررة، أو إدانة غير محققة.

هل ما زالوا على العقيدة الأصلية؟

للإجابة على هذا السؤال، لا بدّ من استحضار العقيدة الأصلية التي بُنيت عليها الطائفة الدرزية منذ انفصالها عن الإسماعيلية الفاطمية في مطلع القرن الخامس الهجري، بقيادة حمزة بن علي، وبإعلان الحاكم بأمر الله إلهًا يُعبد من دون الله، وبدعوى حلول الله فيه وتجليه فيه، ورفع الصلاة، والزكاة، والحج، وتحويل الإسلام إلى شيفرة باطنية نخبوية تنسف أركانه وتشوه توحيده.

وقد أجمع علماء الإسلام – من المذاهب الأربعة – على أن هذه العقيدة خروجٌ صريح عن الإسلام، وأن القوم زنادقة باطنية لا تجوز موالاتهم ولا الدخول في دينهم، ولا تُقبل دعواهم بالإسلام طالما بقوا على تلك المبادئ. من هؤلاء العلماء: ابن تيمية، والقرطبي، والنووي، وابن حجر، وابن عابدين، وابن عابدين الشامي، وغيرهم كثير ممن نصّوا على أن عقائد الدروز باطنية غنوصية مخالفة للتوحيد.

لكن السؤال اليوم هو :**هل ما زالت الطائفة الدرزية تحمل تلك العقيدة؟ وهل أتباعها اليوم يدينون بذات المعتقدات؟**

الواقع أن السرية المطلقة التي ما تزال تهيمن على الطائفة تجعل الجواب صعبًا على وجه الجزم. إلا أن المعطيات تشير إلى أن العقيدة – في جوهرها –

ما تزال محفوظة في كتب رسائل الحكمة، ولم يُعلن أي من مشايخ العقل أو القيادات الدينية تبرؤًا صريحًا من مبدأ تأليه الحاكم بأمر الله، أو من رفض أركان الإسلام، أو من عقيدة التناسخ، بل إن كل المحاولات لمعرفة مواقفهم تُجابَه بالإنكار والمراوغة، أو بإحالة السائل إلى ما يُسمى بـ"أسرار الدين."

هذا يعني أن الأصل العقدي ما يزال قائمًا، وأن الطائفة – بوصفها الديني – لم تُعلن يومًا عودتها إلى الإسلام في أصوله الكبرى، ولا أعلنت تبرؤًا من معتقداتها المؤسسة، ولا دخلت – جماعيًا أو قياديًا – في دائرة النقاش العلمي الفقهي مع علماء الأمة.

وقد ظهرت دعوات خجولة بين بعض أبناء الطائفة في فلسطين وسوريا ولبنان نحو الانفتاح العقدي وطلب الحق، بل وقد أسلم بعض الأفراد وأعلنوا توبتهم، إلا أنهم قلّة، وغالبًا ما يُلاحَقون اجتماعيًا، وتُهدد حياتهم.

واجب البيان والإنصاف الشرعي

هنا يُطرح سؤال حاسم: ما هو الموقف الشرعي لأهل السنة من الطائفة الدرزية اليوم؟

١. **من حيث العقيدة** :الأصل بقاء الحكم الفقهي ما لم يثبت تغير في الأصول. أي أن عقيدة التأليه، وإنكار الفرائض، والتناسخ، والغنوص، تبقى محلّ الحكم بالكفر والخروج عن الإسلام، ما لم تُعلن الطائفة – بوضوح – تبرؤها منها، وتَشهَد الشهادتين، وتدخل في الإسلام بشروطه.

٢. **من حيث التعامل** :لا يجوز الظلم، ولا الاعتداء، ولا التعميم، ولا تحميل الأبرياء أوزار من سبقوهم. فكل فرد يُعامل بصفته، ويُدعى إلى الحق، ويُحاور بالتي هي أحسن. ولا تُمنع الحقوق الدنيوية ولا يُجبر أحد على الدين.

٣. **من حيث الدعوة** :يجب على العلماء والدعاة أن يسعوا لفتح الحوار مع المعتدلين من الطائفة، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة، وكشف زيف العقائد الباطنية، وبيان توحيد الله ودين الحق. فالسكوت عن الضلال لا يُعدّ تسامحًا، بل تضييعًا للحق.

٤. **من حيث الإنصاف التاريخي** :لا يُنسى أن بعض أفراد الطائفة كان لهم مواقف مشرفة في التاريخ، خاصة في مواجهة الاحتلالات الأجنبية، وأن بعضهم انحاز لقضايا الأمة في مفاصل حساسة، كما لا يُنسى أن بعضهم أيضًا تحالف مع أعداء الأمة، ووالى إسرائيل، وشارك في جرائم بحق المسلمين. والعدل أن نُسمي الأشياء بأسمائها، دون تعميم ولا تبرئة مطلقة.

في الختام، فإن الطريق إلى الحقيقة يبدأ من **البيان لا العنف، والعدل لا التهوين، والصدق لا المجاملة** .والطائفة الدرزية، إن أرادت لنفسها مستقبلًا كريمًا في محيطها الإسلامي، فعليها أن تفتح أبوابها للنقاش، وتعرض عقيدتها على ميزان الوحي، وتواجه أسئلتها الوجودية الكبرى بكل صدق وجرأة

.



(١٦)

بين السرّ والهوية: الدروز في مفترق التاريخ المعاصر

أولاً- جماعة بين الغموض والانكشاف

منذ نشأتهم في ظل الحكم الفاطمي، عُرف الدروز بجماعة **تغلب عليها السريّة في العقيدة، والانغلاق في الهوية، والولاء للعائلة والمذهب قبل الدولة** .وقد أسهم هذا الغموض في صوغ صورة استثنائية للطائفة، تتأرجح بين **الاحترام والتوجّس** في وعي المحيط الإسلامي والعربي.

لكن في القرنين الأخيرين، بدأ هذا الغموض بالتلاشي تدريجياً، تحت ضغط العلمنة، والتعليم، والانفتاح الإعلامي، ثم الثورة الرقمية، مما جعل العقيدة الدرزية عرضة للتساؤلات، وأفرغ الغموض التاريخي من محتواه.

إنّ السر الذي شكّل درعًا للطائفة بات اليوم سيفًا ذا حدّين: فهو لم يعُد كافيًا لحمايتها من التحديات الفكرية والسياسية، ولم يساعدها في بناء مشروع مشترك مع شعوبها ودولها.

ثانياً- من طائفة مقاتلة إلى طائفة حائرة

إن الدور العسكري للدروز في حقبة الحملات الصليبية وغزو التتار كان **محليًا ومحدودًا**، مرتبطًا بحماية القرى والمناطق الجبلية، وليس ضمن الجيوش الكبرى أو الحملات المنظمة. وأما حضورهم العسكري البارز بدأ يتبلور لاحقًا، خاصة في **الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥)** بقيادة **سلطان باشا الأطرش**، حيث لعبوا دورًا محوريًا في مقاومة الاستعمار الفرنسي في تلك الفترة.

في فلسطين، فإنهم قد **فقدوا عمقهم العربي وتحالفوا مع العدو الصهيوني**؛ وفي لبنان، **تحولوا إلى قوة طائفية تفاوض على حصتها في النظام**؛ أما في سوريا، فقد انقسموا بين الولاء للنظام والانكفاء الطائفي، قبل أن ينقلب قسم منهم – في السويداء – على الدولة الجديدة ويطلبوا الحماية من إسرائيل.

لقد انتقلوا من طائفة مقاتلة إلى **طائفة قلقة، حائرة، تعيش على هامش القرار القومي والإسلامي.**

ثالثاً- خطر التحالف مع العدو

يشكّل **طلب الحماية من إسرائيل**، كما فعلت قيادة حكمت الهجري في ٢٠٢٥، **تحولًا بالغ الخطورة في عقيدة الطائفة** وموقعها في وجدان الأمة.

فمن قاتل الفرنسيين مع سلطان الأطرش، ومن قاوم الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، **لا يمكن أن يستقوي بالعدو على أبناء بلده.** هذه سابقة تعيد إلى الأذهان تجربة دروز فلسطين الذين خدموا في جيش الاحتلال، ثم **خُذِلوا وتُركوا في الهامش بلا دولة ولا انتماء.**

إن من يعتقد أن إسرائيل ستضمن بقاءه، يتجاهل حقيقة أن **الكيان الصهيوني لا يحمي إلا مصالحه، ولا يعرف ولاءً إلا لمن يخدم مشروعه العنصري.**

رابعاً- خيار العودة إلى الأمة

لا يزال في الطائفة الدرزية **رجال أحرار ومثقفون وأبناء عقلاء**[١] يرفضون الانحراف عن روح الإسلام، ويؤمنون بوحدة بلاد الشام، ويقاومون المشروع الصهيوني. وهؤلاء هم الأمل في **إعادة وصل ما انقطع بين الدروز والأمة.**

---

[١] من هؤلاء العلامة **شكيب أرسلان** الذي تبنى الإسلام السني منذ شبابه، وكتب في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وهاجم الباطنية والفلسفة، واعتبر نفسه من **أهل السنة والجماعة** . وقد عبّر عن ذلك في مؤلفاته مثل **الارتسامات اللطاف وتاريخ العرب والإسلام**، وكان مقرّبًا من علماء الأزهر ومن رموز الإصلاح الإسلامي كرشيد رضا ومحمد عبده.

أما عن **شخصيات أخرى من أصل درزي** تركت الطائفة واعتنقت الإسلام السني أو الشيعي، فالمصادر لا تُوثّق كثيرًا من الحالات البارزة، وذلك بسبب **الطبيعة المغلقة للطائفة الدرزية**، وكون الانفصال عنها يُعدّ **خروجًا اجتماعيًا وثقافيًا** أكثر منه مجرد تحول ديني. ومع ذلك، هناك حالات فردية، خاصة في المهجر، لأشخاص أعلنوا تركهم للمذهب الدرزي واعتناقهم الإسلام، ومن هؤلاء الشيخ شهاب الشاطر الذي له بعض المحاضرات عن الدين الدرزي ينصح فيها الدروز باتباع دين الحق.

https://youtu.be/VW-MjY4ahfM?si=7RXTHJAubTSZ96T0

من الجدير بالذكر أن الطائفة الدرزية لا تقبل التحاق أفراد جدد بها، ولا تعترف بمن يخرج منها، مما يجعل التحولات العقائدية نادرة ومُحاطة بالتكتم.

فالبديل عن الاستقواء بالخارج هو:

- **الاندماج في الهوية الوطنية الجامعة**
- **المصالحة مع المحيط الإسلامي والعربي**
- **فتح أبواب التعلّم والانفتاح المعرفي والفقهي**
- **تجديد الخطاب الديني ضمن المرجعيات الروحية الواعية**

ولا يليق بطائفة عُرفت بالشجاعة والعقل، أن تسير خلف قيادات تهدم ما بناه الأجداد من كرامة.

كلمة أخيرة

لقد حاول هذا الكتاب أن يقرأ تاريخ الطائفة الدرزية لا من باب الإدانة أو التمجيد، بل من باب الفهم والتحليل والمصارحة، إدراكًا لحساسية الموضوع وتشابكه الديني والسياسي والاجتماعي. فغاية المصارحة ليست إثارة الخصومة، بل مدّ الجسور، لا حفر الخنادق. فالدروز جزء أصيل من النسيج التاريخي للمنطقة، وقد لعبوا أدوارًا محورية في مفاصل عديدة من تاريخ المشرق العربي، من لحظة نشأتهم المنبثقة من أحشاء الدعوة الإسماعيلية في ظل الدولة الفاطمية، إلى تمركزهم في جبل لبنان وجبل العرب، وصولًا إلى واقعهم الراهن في لبنان وسوريا وفلسطين، وعلاقاتهم المتشابكة مع قوى الاحتلال والاستعمار، ومواقفهم من قضايا الأمة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية والثورة السورية.

لقد أظهرت صفحات هذا البحث أن الغموض الذي لفّ العقيدة الدرزية لم يكن مجرد خصوصية لاهوتية، بل كان – في جانب منه – وسيلة للعزلة، وأداة للتحصن الطائفي والتميّز السياسي، وعائقًا دون انخراط صادق في المشروع الإسلامي أو العربي الجامع. وبينما بقيت العقائد الباطنية حبيسة رسائل سرية لا تُكشف إلا للنخبة، انخرطت القيادات الدرزية – خصوصًا في العصر الحديث – في تحالفات متناقضة مع قوى أجنبية، كما جرى مع فرنسا زمن الاحتلال، ومع الكيان الصهيوني بعد نكبة فلسطين، ومع النظام الأسدي في سوريا، بل ومع إسرائيل نفسها في الأيام الأخيرة من ثورة الشعب السوري. وما جرى يوم ١٦ تموز ٢٠٢٥، من انقلاب مرجعية حكمت الهجري على الدولة السورية الجديدة، وطلبه الحماية من إسرائيل، وقصف الأخيرة لدمشق، وارتكاب مجازر في السويداء بحق الجيش السوري والعشائر العربية، لا يمكن فصله عن ذلك السياق التاريخي الطويل من اللعب على التناقضات، وطلب الحماية الأجنبية، والتمايز السياسي الذي طالما تبنّته النخب الدرزية حين شعرت بخطر فقدان النفوذ أو امتيازاتها التاريخية.

ومع ذلك، لم يغفل هذا الكتاب عن أصوات العقل والإنصاف في أوساط بعض أبناء الطائفة، سواء في لبنان أو سوريا أو فلسطين، ممن وقفوا إلى جانب شعوبهم، واندمجوا مع عموم مجتمعهم في السراء والضراء، بعيدًا عن الحسابات الطائفية الضيقة. لقد سعينا في هذا العمل إلى الغوص في عمق التاريخ والعقيدة والسلوك السياسي والاجتماعي، لا بهدف التشهير، بل لكشف الحقيقة بميزان العلم والعدل، في زمن باتت فيه الروايات المشوشة والقراءات المنحازة هي الغالبة. وقد حرصنا في كل مرحلة على الإسناد إلى المصادر الموثوقة – قديمة وحديثة، إسلامية واستشراقية – لنقدم للقارئ الباحث عن الحقيقة أداة لفهم طائفة لعبت دورًا مركزيًا في تاريخ المنطقة، لكنها تقف اليوم أمام مفترق طرق حاسم: هل تعيد النظر في مسارها، فتعود إلى حضن الأمة، دينًا وهوية وانتماءً؟ أم أن طريق الانعزال والتحالف مع أعداء الأمة سيبقى خيارها الاستراتيجي؟ تلك أسئلة لا تجيب عنها الكتب وحدها، بل يجيب عنها الزمن... والشعوب... والعقلاء من كل الطوائف والاتجاهات.



الملاحق

الملحق الأول: ملف الشخصيات الرئيسية في تاريخ الدروز

١. الحاكم بأمر الله (٣٧٥–٤١١هـ / ٩٨٥–١٠٢١م)

الخليفة الفاطمي السادس، مثّل نقطة التحول الكبرى في العقيدة الإسماعيلية الباطنية. غلب عليه الغموض والاضطراب في الحكم، وادعى بعض أتباعه له صفات ألوهية، ما أدى إلى نشوء الحركة الدرزية. اختفى بشكل غامض سنة ١٠٢١م، وكان لاختفائه أثر حاسم في العقيدة التوحيدية الدرزية التي رأت فيه تجليًا إلهيًا وغيبته غيبة مقدسة.

٢. حمزة بن علي بن أحمد

المنظر الفعلي للعقيدة الدرزية ومؤسسها، أعلن العقيدة التوحيدية السرية سنة ٤٠٨هـ، وجعل الحاكم بأمر الله إلهًا متجسدًا. كتب رسائل العقيدة الدرزية المعروفة بـ«الرسائل الحكميّة»، وهي المرجع الأساسي لأتباع الطائفة. دعا إلى مفهوم "الناسوت واللاهوت"، ومزج الفلسفة الإشراقية بالباطنية الإسماعيلية.

٣. محمد بن إسماعيل الدرزي

الداعية الذي ارتبط اسمه بالطائفة لاحقًا، رغم أن الدروز ينكرون نسب التسمية إليه. كان أول من بالغ في ألوهية الحاكم، وسلك نهجًا متطرفًا، ما أدى إلى مقتله سنة ٤١١هـ في القاهرة على يد الجماهير. رفضه حمزة وأتباعه، لكن الاسم التصق بالطائفة تاريخيًا.

٤. نشتكين الدرزي

داعية فارسي أُرسل إلى بلاد الشام للدعوة، لكنه انشق على القيادة المركزية في القاهرة، وادّعى لنفسه مكانة خاصة، ما أدى إلى مقتله. ينسب إليه العامة اسم "الدروز" رغم أن أتباع المذهب يرفضون الانتساب إليه.

٥. المقتني، بهاء الدين التميمي

الخليفة الروحي لحمزة، تسلّم قيادة الدعوة بعد غيبة الحاكم واعتزال حمزة، وأتمّ كتابة "الرسائل الحكميّة". أعلن سنة ٤٣٤هـ (١٠٤٢م) توقيف باب الدعوة، ودعا إلى التقية والانعزال، فأغلقت الطائفة أبوابها ولم تعد تستقبل أفرادًا جددًا، وهو ما يفسّر انغلاق الدروز على أنفسهم حتى اليوم.

٦. فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢–١٦٣٥م)

زعيم درزي بارز في جبل لبنان، سعى لتوسيع نفوذه خارج المناطق الدرزية، وبنى علاقات مع الدول الأوروبية (خصوصًا توسكانا والبندقية)، ما أثار غضب الدولة العثمانية. يُعد شخصية مفصلية في تاريخ الطائفة بسبب سعيه لفرض الاستقلال الدرزي شبه الكامل في جبل لبنان. قُتل بعد هزيمته على يد العثمانيين.

٧. بشير الشهابي الثاني (١٧٦٧–١٨٥٠م)

أمير لبناني حكم جبل لبنان بتوازن دقيق بين الموارنة والدروز. تقلب في ولائه بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا، ما أدى إلى خلعه لاحقاً. عهده شهد فتنة طائفية واسعة بين الدروز والموارنة.

٨. سلطان باشا الأطرش (١٨٩١–١٩٨٢م)

زعيم وطني سوري درزي، كان من قواد الثورة السورية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي عام ١٩٢٥. رغم جذوره الدرزية، كانت مواقفه وحدوية قومية، ودعا إلى استقلال سوريا ووحدتها، ورفض أي مشروع تقسيمي. يُعدّ رمزاً قومياً لا طائفياً، ويحتل مكانة خاصة في الذاكرة السورية العامة.

٩. كمال جنبلاط (١٩١٧–١٩٧٧م)

سياسي لبناني بارز، ومؤسس الحزب التقدمي الاشتراكي، مثّل التيار العروبي القومي في لبنان، وكان خصمًا للمارونية السياسية، ومقربًا من منظمة التحرير الفلسطينية. اغتيل سنة ١٩٧٧، ويُتهم النظام السوري بتصفيته. شكّل جسرًا بين الدروز والقضايا العربية، قبل أن يتحول ابنه وليد جنبلاط نحو خيارات أكثر براغماتية.

١٠. وليد جنبلاط

زعيم درزي لبناني، ورث الزعامة عن والده، تميز بمواقفه المتقلبة سياسيًا، وتحالف في بعض الفترات مع قوى ١٤ آذار، ثم عاد وهادن حزب الله والنظام السوري. انتُقد كثيرًا بسبب ازدواجية مواقفه، لكنه بقي الزعيم الأقوى للطائفة في لبنان في العقود الأخيرة.

١١. حكمت الهجري

المرجعية الروحية العليا للدروز في السويداء (سوريا)، كان في البداية على الحياد من الثورة السورية، لكنه لاحقًا تبنّى مواقف أكثر انتقادًا للنظام. وفي عام ٢٠٢٥، قاد تمردًا مسلحًا ضد الدولة السورية الجديدة، وطلب حماية إسرائيل، مما تسبب في تصعيد خطير تمثل بقصف إسرائيلي لدمشق واندلاع مواجهات دامية بين الجيش السوري ومجموعاته في جبل الدروز.



الملحق الثاني: الجداول الزمنية لأهم المحطات التاريخية في تاريـخ الدروز

منشأ العقيدة وبداية الدعوة

(٩٨٥–١٠٤٢م)

الحدث	التاريخ (م)
تولية الحاكم بأمر الله الخلافة الفاطمية في مصر.	٩٨٥
حمزة بن علي يعلن بداية الدعوة التوحيدية السرية في عهد الحاكم.	١٠٠٥
ظهور الداعية محمد الدرزي في القاهرة وبدء ادعاءاته العلنية بألوهية الحاكم.	١٠١٧
مقتل محمد الدرزي في القاهرة بعد نقمة عامة على أفكاره المتطرفة.	١٠١٨
اختفاء الحاكم بأمر الله في ظروف غامضة، وبداية "الغيبة المقدسة" في العقيدة الدرزية.	١٠٢١
فترة كتابة "الرسائل الحكميّة" على يد حمزة وبهاء الدين.	١٠٢١-١٠٤٢
إغلاق باب الدعوة على يد بهاء الدين التميمي، وبداية انغلاق الطائفة.	١٠٤٢

العصر الوسيط – مرحلة الصراع العثماني وتكوين الزعامة الجبلية

(١٥١٦–١٧١١م)

الحدث	التاريخ
دخول العثمانيين إلى الشام؛ بداية الحكم العثماني في جبل لبنان.	١٥١٦
ولادة الأمير فخر الدين المعني الثاني، أبرز زعيم درزي في العصر الحديث.	١٥٧٢
حكم فخر الدين جبل لبنان وتوسيع سلطته إلى الشام وفلسطين؛ تحالفه مع الإيطاليين.	١٦٠٥-١٦٣٣
القبض على فخر الدين وإعدامه في إسطنبول.	١٦٣٥
معركة عين دارة تنهي وجود القيسيّين واليمنيين، وتعزز سيطرة الزعامة الجنبلاطية.	١٧١١

العصر الحديث – من الإمارة إلى الدولة الوطنية

(١٨٦٠–١٩٧٥م)

الحدث	التاريخ
مجازر ١٨٦٠ بين الموارنة والدروز في جبل لبنان، وتدخل فرنسي مباشر.	١٨٦٠
إنشاء متصرفية جبل لبنان تحت وصاية أوروبية – تقلص النفوذ الدرزي فيها.	١٨٦١
إعلان دولة لبنان الكبير؛ ضم جبل الدروز إلى الانتداب الفرنسي في سوريا.	١٩٢٠
انطلاق الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش ضد فرنسا.	١٩٢٥
نهاية الانتداب الفرنسي وخروج الدروز من دائرة التأثير السياسي السوري تدريجياً.	١٩٤٦
اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية؛ بروز كمال جنبلاط كزعيم درزي قومي.	١٩٧٥

المرحلة المعاصرة – من الحرب الأهلية إلى الانقسام الراهن (١٩٧٧–٢٠٢٥م)

الحدث	التاريخ
اغتيال كمال جنبلاط، وتولي ابنه وليد زعامة الطائفة.	١٩٧٧
الدروز يواجهون الاجتياح الإسرائيلي للبنان ضمن الحركة الوطنية.	١٩٨٢
انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان؛ بداية مرحلة جديدة من التحالفات الدروزية.	٢٠٠٠
اندلاع الثورة السورية؛ دروز السويداء يعلنون الحياد ثم المطالب الإصلاحية.	٢٠١١
مجازر داعش في ريف السويداء؛ تعاطف شعبي سوري واسع مع الدروز.	٢٠١٨
سقوط نظام بشار الأسد، وصعود الدولة السورية الجديدة.	٢٠٢٤
تمرد مرجعية السويداء بقيادة حكمت الهجري، وطلبها الحماية من إسرائيل، وتدخل عسكري إسرائيلي بقصف دمشق؛ اندلاع المعارك مع الجيش السوري.	تموز ٢٠٢٥

الملحق الثالث: المفاهيم والمصطلحات العقائدية الدرزية

هذا الملحق يهدف إلى توضيح أبرز المصطلحات الخاصة بالعقيدة الدرزية، والتي تميزها عن غيرها من الفرق الباطنية والإسماعيلية، وتكشف جوانب من بنيتها الفكرية واللاهوتية. المصطلحات مرتبة أبجدياً مع شرح مختصر وتحليلي.

١. التوحيد

في العقيدة الدرزية، "التوحيد" لا يعني توحيد الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته كما عند أهل السنة، بل هو تأليه الحاكم بأمر الله. ولذلك يُسمّون أنفسهم "الموحدين" نسبةً إلى هذا المفهوم الخاص، حيث يعدّون الحاكم بأمر الله تجلياً للذات الإلهية.

ملاحظة: هذا المفهوم يحمل انحرافاً واضحاً عن العقيدة الإسلامية التي ترى أن التوحيد هو إفراد الله بكل ما يختص به من الألوهية والربوبية والصفات.

٢. حدود العقل الخمسة[١]

الحدود الخمسة عند الدروز هي **ركائز رمزية وعقائدية** تشكّل أساس المذهب التوحيدي الدرزي، وتُجسّد مفاهيم فلسفية وروحية عميقة، كما ترتبط بأشخاص مؤسسين يُنظر إليهم كـ"حدود إلهية "أو تجليات للصفات العليا.

من هم الحدود الخمسة؟

يرمز كل "حد" إلى جانب من جوانب الوجود أو العقل الكلي، وهم:

---

[١] للمزيد والتفصيل، انظر: موقع الدرر السنية https://dorar.net/frq/2220

١. **العقل الكلي – حمزة بن علي بن أحمد**
   - يُعتبر العقل الأول، والحدّ الأعلى، ومصدر المعرفة والفيض.
   - هو المؤسس الفعلي للدعوة الدرزية، ويُنظر إليه بوصفه تجليًا إلهيًا من حيث العقل.
   - يمثل اللون الأخضر في النجمة الدرزية.

٢. **النفس الكلية – إسماعيل بن محمد التميمي**
   - يمثل المرتبة الثانية بعد العقل.
   - يُعد أول من آمن بالعقل (حمزة)، ويقوم بدور النفس التابعة والمنفذة.
   - يمثل اللون الأحمر في النجمة الدرزية.

٣. **الكلمة – محمد بن وهب القرشي**
   - يُمثّل مبدأ الكلمة أو "اللوغوس."
   - وظيفته التبليغ والبيان، أي نقل الوحي والدعوة إلى الآخرين.
   - يمثل اللون الأصفر في النجمة الدرزية.

٤. **السابق – سلمان بن عبد الوهاب السامري**
   - يمثل الإرادة أو القوة المحركة الأولى.
   - يُقال إن مهمته تنظيم المراتب وتقديم الطاعة.
   - يمثل اللون الأزرق في النجمة الدرزية.

٥. **التالي – بهاء الدين أبو الحسن السموقي**

- يُمثل المرتبة الخامسة، وهو الذي يُكمل بناء الدعوة ويُتمّ نظام التوحيد. تولّى القيادة بعد غياب حمزة، وأغلق باب الدعوة في سنة ٤٣٤هـ.
- يمثل اللون الأبيض في النجمة الدرزية.

تُمثّل هذه الحدود وسائط بين "اللاهوت" و"الخلق"، وهي جزء من النظام الباطني المعقد الذي تبنّته العقيدة.

دلالاتهم الفلسفية

- تمثل هذه الحدود **تجليات نورانية** من العقل الكلي، وتُعتبر غير مخلوقة بل أزلية، تحل في أجساد بشرية عبر العصور.
- يُعتقد أن هذه الحدود تتكرر في كل زمن، وتُجسّد في أشخاص مختارين يحملون صفاتها.
- تُستخدم **النجمة الخماسية** كرمز للطائفة، وكل لون فيها يرمز إلى أحد الحدود.

في العقيدة الدرزية

- الإيمان بالحدود الخمسة شرط أساسي لفهم المذهب التوحيدي.
- تُذكر الحدود في **رسائل الحكمة**، وهي النصوص المقدسة لدى الدروز.
- يُنظر إلى حمزة بن علي باعتباره **العقل الكلي** ومؤسس الدعوة، بينما يُعد بهاء الدين من أغلق باب الدعوة وأكمل الرسالة.

٣. الرسائل الحكميّة

وهي مجموعة من الكتب والرسائل العقائدية، عددها ١١١ رسالة، كتبها مؤسسو الدعوة الدرزية، وتُعدّ النصّ المقدس المعتمد لدى الدروز. وهي مكتوبة بلغة رمزية، غامضة، وتعتمد على التأويل والإشارات الباطنية.

٤. الغيبة

هي الاعتقاد باختفاء الحاكم بأمر الله سنة ١٠٢١م، وعدم موته، بل "احتجابه" و"استتاره"، بانتظار ظهوره من جديد. هذا المفهوم يشبه عقيدة الغيبة في التشيع الإثني عشري.

٥. العقل الكلي

مفهوم مأخوذ من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، ويعني الواسطة الأولى بين الله والخلق، ويعدّ حمزة بن علي تجسيداً له عند الدروز.

٦. الكتمان

الكتمان أو "التقية المضاعفة"، هو مبدأ رئيسي في العقيدة الدرزية، ويقضي بإخفاء المعتقدات عن غير الدروز، بل وحتى عن غير "العقال" (النخبة) من الدروز أنفسهم. وهذا ما جعل دراستهم من الخارج صعبة ومعقدة.

٧. العُقّال / الجُهّال

العقال هم النخبة المتدينة في الطائفة، الذين يُسمح لهم بقراءة كتب الحكمة ودخول المجالس الدينية الخاصة.

الجهال هم عامة الناس من الدروز، الذين لا يُطلعون على أسرار العقيدة، بل يُطلب منهم الالتزام بالطقوس الاجتماعية والأخلاقية فقط.

٨. التناسخ

الدروز يؤمنون بعقيدة التقمّص، أي انتقال الروح من جسد إلى جسد بعد الموت، وهذا نابع من تأثرهم بالفكر الغنوصي الهندوسي والباطني. وهم لا يؤمنون بيوم القيامة بمعناه الإسلامي.

٩. النُطق / الصمت

مصطلح رمزي يقابل طور الإعلان وطور الكتمان. يُعتقد أن الدعوة الدرزية كانت في "طور النطق" زمن الحاكم بأمر الله، ثم دخلت في "طور الصمت" عند اختفائه.

١٠. الظهور

هو زمن عودة الحاكم بأمر الله، الذي ينتظره الدروز باعتباره الإله المتجلي. وهذا المفهوم مشابه عند الإسماعيلية في انتظار الإمام الغائب.

١١. موحدون

لقب الدروز لأنفسهم، ويقصدون به أتباع "دعوة التوحيد"، وهي التوحيد الذي يقر بألوهية الحاكم. لا علاقة له بمفهوم التوحيد عند المسلمين.



الملحق الرابع: المفاهيم العقائدية المفتاحية في العقيدة الدرزية

يهدف هذا الملحق إلى توضيح أهم المصطلحات والمفاهيم العقدية التي تشكل جوهر العقيدة الدرزية، وتُميّزها عن سائر الفرق الإسلامية، ولا سيما الإسماعيلية التي انبثقت منها. يعتمد هذا العرض على النصوص العقائدية الدرزية (مثل "رسائل الحكمة")، وتحليلات الباحثين، وأقوال أهل السنة والجماعة في هذا السياق.

١. التوحيد عند الدروز

- **التسمية** :يُطلق الدروز على أنفسهم لقب "الموحدين" ويعدّون عقيدتهم خلاصة التوحيد، ويُطلقون على مذهبهم "مذهب التوحيد."
- **الحقيقة** :التوحيد عندهم ليس كما هو عند أهل الإسلام، بل يغلّب الطابع الباطني الفلسفي المتأثر بالفيثاغورية والأفلاطونية الجديدة. فالله في تصورهم هو "الوجود المطلق المتعالي" المتجسّد في "الحد الأول"، وقد اعتبروا الحاكم بأمر الله تجليًا إلهيًا!
- **ردّ أهل السنة** :هذا انحراف عظيم يخرج عن التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام، بل هو شرك أكبر لتأليه البشر.

٢. العقيدة في الحاكم بأمر الله

- يؤمن الدروز أن **الحاكم بأمر الله الفاطمي** لم يُقتل، بل غاب عن الأنظار وهو لا يزال حيًا، وأنه سيعود في آخر الزمان!
- وُصف في رسائلهم بأنه "الظاهر الإلهي"، وأُلّف فيه من الأدعية والتمجيد ما لا يُقال إلا لله.
- هذا المفهوم مأخوذ من الفكرة الإسماعيلية حول "الإمام الغائب" ولكنه تطور إلى نوع من الألوهية في العقيدة الدرزية.

٣. مبدأ التقمّص (الرجعة)

- يعتقد الدروز بمبدأ **تناسخ الأرواح**، أي أن روح الإنسان بعد موته تنتقل مباشرة إلى جسد مولود جديد.
- لا يؤمنون بالجنة والنار الأخرويتين كما في الإسلام، بل بمجازات معنوية ونقل الأرواح بين الأجساد.
- يُعد هذا المبدأ خروجًا عن الإسلام، وموروثًا من العقائد الهندوسية والفارسية القديمة.

٤. الكتمان والباطنية

- يُعتبر **السرية** ركنًا جوهريًا في الدين الدرزي. فلا تُنشر العقيدة لعامة الناس، بل تحفظ في طبقة "العقال."
- لا يُسمح لغير العقال بقراءة كتب الحكمة أو المشاركة في المجالس الدينية.
- يُمارس الدروز **التقية** بشكل دائم، خاصة في العصور التي واجهوا فيها اضطهادًا أو ضعفًا.

٥. كتب الدروز

تُعدّ **رسائل الحكمة**[١] المرجع العقائدي الأهم لدى الدروز، ويتألف من ١١١ رسالة موزعة على أربعة مجلدات، نُسبت إلى مؤسسي الدعوة التوحيدية، وتتميّز بتسلسلها المنضبط. كتب حمزة بن علي عددًا كبيرًا منها عام ٤٠٩هـ قبيل غيابه، وأكمل بهاء الدين التأليف بعد سنة ٤١١هـ. تشمل الرسائل مراسلات إلى شخصيات بارزة في الدولة الفاطمية، وأخرى تتناول أسس العقيدة والدعوة.

من الكتب الدينية الأخرى:

---

[١] رسائل الحكمة مطبوعة في لبنان في مجلدين.

- **النقط والدوائر:** يتناول عقائد التوحيد عندهم، وطُبع في البرازيل عام ١٩٢٠.
- **شرح ميثاق ولي الزمان:** تأليف محمد حسين، ويُظهر تفاصيل عقائد الطائفة بوضوح يفوق الرسائل أحيانًا.
- الصُّحُفُ المَوسومةُ بالشَّريعةِ الرُّوحانيَّةِ في عُلومِ البَسيطِ والكثيفِ، وهو كِتابٌ يقَعُ في نَحوِ ٣٦٠ صَفحة، وذَكرَها مُؤَلِّفُ (أيُّها الدَّرْزيُّ عَودة إلى عَرينِك) على أنَّها مِن وضع كمال جنبُلاط بالتَّعاوُن مَعَ عاطِف العَجَميِّ.
- وللدُّروزِ أيضًا مُصحَفٌ يُسَمُّونَه (**المُنفرِدَ بذاتِه**)، وهو منسوبٌ إلى حمزةَ بنِ عليٍّ، وقيل إنَّ كاتِبَه هو كمالُ جنبُلاط. ويُقالُ: إنَّه تَعاونَ في وضعِه ووضعِ رَسائِلَ أُخرى مَعَ عاطِف العَجَميِّ. ويتَألَّفُ هذا المُصحَفُ مِن أربَعٍ وأربَعينَ عرفًا، يُحاكي فيه كاتِبُه القُرآنَ الكريمَ بتَرديدِ ما في رَسائِلِ الدُّروزِ، وقد أخَذَ مُؤَلِّفُه أيضًا مِن آياتِ القُرآنِ الكريمِ ما يُناسِبُ بُغيتَه، وخاصَّةً آياتِ النَّعيمِ والعَذابِ، حَيثُ جَعَلها خاصَّةً بمَن يعبُدُ الإلهَ المَعبودَ عِندَهم -الحاكِمَ بأمرِ اللَّهِ- فمَن عَبدَه فله النَّعيمُ، ومَن كَفرَ به فقد حَقَّ عليه العَذابُ. ويُعَلِّقُ عاطِف العَجَميُّ على هذا المُصحَفِ وغَيرِه مِنَ الرَّسائِلِ التي وضَعوها بقَولِه: تَكادُ تَفوقُ القُرآنَ بَلاغ![١]

٦. موقفهم من القرآن والشريعة

- يُظهر الدروز احترامًا ظاهريًا للقرآن، لكنهم لا يعتمدون في التشريع.
- لا يعملون بأركان الإسلام الخمسة كما هي عند المسلمين:
  - **الصلاة** :لا يؤدونها كما في الإسلام.
  - **الزكاة، الصوم، والحج** :يُعطلونها أو يؤولونها رمزيًا.

---

[١] انظر المزيد في موقع الدرر السنية: https://dorar.net/frq/2226

- يرون أن الشريعة كانت "طورًا تاريخيًا" تم تجاوزه بظهور الحكمة في عهد الحاكم بأمر الله.

٧. موقفهم من الإسلام والمسلمين

- ينظرون إلى الإسلام بوصفه "المرحلة الأولى" من الدين، تلاها "طور الحكمة."
- يُكفّرون عامة المسلمين، ويعتقدون أن من لا يؤمن بالحاكم وبالعقيدة التوحيدية على طريقتهم، فهو في ضلال.
- وقد التزموا الصمت السياسي والديني طيلة قرون، مع انتهاز الفرص السياسية للتحالف مع القوى الخارجية ضد الدولة الإسلامية أو العربية كما ثبت في مراحل مختلفة.

٨. ردّ أهل السنة والجماعة على العقيدة الدرزية

- أجمع علماء الإسلام أن **الفرقة الدرزية خارجة عن الإسلام**، ولا تُعد من الفرق الإسلامية، بل من الفرق الباطنية الكافرة. وقد ذكرنا في ثنايا الكتاب كلام علماء المسلمين فيها.



الملحق الخامس: هل ساهم الدروز في الحضارة الإسلامية؟ – قراءة تحليلية

عند الحديث عن أي طائفة دينية نشأت في ظل الحضارة الإسلامية، من الطبيعي أن يُطرح سؤال جوهري:

هل لهذه الطائفة إسهام علمي، فكري، ثقافي، أو حضاري في بناء المنجز الإسلامي العام؟

وفي حالة الدروز، فإن الجواب يقتضي تحليلاً دقيقًا، يستند إلى مصادر التاريخ، وسير العلماء، وواقع المساهمة الحضارية عبر العصور.

أولًا: العزلة العقائدية والسرية المعرفية

منذ انشقاقهم عن الفرقة الإسماعيلية في بدايات القرن الخامس الهجري، تبنّى الدروز سياسة عقائدية تقوم على:

- إغلاق باب الدعوة (عام ٤٣٥هـ).
- حجب كتبهم وتعاليمهم عن غير أتباعهم.
- منع التزاوج والتداخل الاجتماعي مع غير الدروز.

وقد أدّت هذه العزلة إلى **انفصال معرفي كامل** عن الأمة، فغابت أسماؤهم عن مجالس العلم، وعن كتب الحديث، والتفسير، والفقه، واللغة.

ثانيًا: غياب الإسهام العلمي والثقافي

لا نجد في تراث الأمة الإسلامية:

- عالمًا درزيًا في الفقه أو الحديث أو اللغة.
- مفسرًا من الدروز، أو نحويًا، أو لغويًا.
- أديبًا مشهورًا في العصور الإسلامية الكلاسيكية.

وإنما تقتصر المعرفة الدراسية لديهم على بعض كتبهم الباطنية، التي لا يسمح بقراءتها إلا "للعاقل" بعد سن الأربعين، وهو ما يدل على **انغلاق معرفي كامل**.

ثالثًا: النشاط السياسي المحدود والمرتبط بالصراعات الطائفية

- **في لبنان**: برز الدروز سياسيًا في عهد فخر الدين المعني الثاني (ت ١٦٣٥م)، لكنه تحالف مع قوى أجنبية (توسكانا والبابوية) ضد الدولة العثمانية، وقد انتهى مشروعه بالفشل.
- **في سوريا**: برز اسم سلطان باشا الأطرش كقائد للثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥م، لكن ثورته كانت قومية الطابع، ولم ترتكز على مرجعية إسلامية.

وغالبًا ما كانت مشاركة الدروز في السياسة مرتبطة بالصراعات المذهبية والطائفية في الجبل أو في ظل استعمار غربي، وليس في **مشروع نهضة حضارية** على النمط الإسلامي.

رابعًا: موقف أهل السنة والجماعة

أجمع علماء أهل السنة على أن الدروز **فرقة خارجة عن الإسلام**، لا يُعترف بإسلامها ولا تقبل شهادتها، ولا يُنكح نساؤها، ولا يُدفن موتاهم في مقابر المسلمين، لما في عقيدتهم من تأليه الحاكم بأمر الله، وإنكار أركان الإسلام، وتحريف الشريعة.

خامسًا: في العصر الحديث

شهد العصر الحديث بعض بروز أسماء درزية في السياسة أو الإعلام (في لبنان أو إسرائيل أو المهجر)، لكن:

- لم يبرز منهم مفكر إسلامي معتبر.
- لم يسهموا في القضايا الحضارية للأمة.
- وكانت مشاركاتهم منحازة في الغالب لمشاريع طائفية أو غربية.

الخلاصة

رغم مرور أكثر من ألف عام على ظهور طائفة الدروز، **لم يعرف لهم إسهام معتبر في الحضارة الإسلامية**، سواء في علوم الشريعة أو اللغة أو الفكر. وقد حال دون ذلك:

- عقيدتهم الباطنية الغامضة.
- انغلاقهم الاجتماعي والمعرفي.
- مواقفهم السياسية المتأرجحة غالبًا ضد الدول الإسلامية المركزية.

وهو ما يجعلهم حالة خاصة في تاريخ الطوائف الشرقية :**طائفة دينية بلا إسهام حضاري** يُذكر.



المصادر والمراجع

أولاً- المصادر العربية

١. ابن خلدون، عبد الرحمن .العبر وديوان المبتدأ والخبر .بيروت: دار الفكر، ١٩٨١.
٢. أبو عز الدين، نجلاء. الدروز في التاريخ. دار العلم للملايين، بيروت.
٣. أبو صالح، عباس، وسامي مكارم. تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي. بيروت، ١٩٨٠.
٤. إحسان إلهي ظهير. الإسماعيلية تاريخ وعقائد. إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.
٥. إحسان إلهي ظهير .الشيعة والقرآن .إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.
٦. أحمد بن تيمية .مجموع الفتاوى .تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وآخرين. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت.
٧. باتريك سيل .الأسد: الصراع على الشرق الأوسط .ترجمة سامي نعمان. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢.
٨. البغدادي، عبد القاهر . الفرق بين الفرق .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٩. حسين، محمد كامل. طائفة الدروز: تاريخها وعقائدها. دار المعارف بمصر، ١٩٦٢.
١٠. حتي، فيليب. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين .ترجمة: جورج حداد. بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠.
١١. الذهبي، شمس الدين .سير أعلام النبلاء .تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.
١٢. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم .الملل والنحل .بيروت: دار المعرفة، د.ت.
١٣. الصليبي، كمال الصليبي. منطلق تاريخ لبنان .بيروت: دار النهار، ١٩٨٨.
١٤. الصليبي، كمال. تاريخ لبنان الحديث .بيروت: دار النهار، ١٩٩٠.

١٥. الصليبي، كمال. الدروز في التاريخ، بيروت: الجامعة اللبنانية الأمريكية، ٢٠٠١.
١٦. كوربين، هنري. تاريخ الفلسفة الإسلامية. عويدات للنشر والطباعة، بيروت.
١٧. المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. صيدا/بيروت: المكتبة العصرية.
١٨. المقدسي، أحمد بن محمد البشّاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦.



رابعًا: مراجع أجنبية

Betts, Robert Brenton. *The Druze*. New Haven: Yale University Press, 1988.

Firro, Kais. *A History of the Druzes*. Leiden: Brill, 1992.

Makarem, Sami Nasib. *The Druze Faith*. Syracuse: Syracuse University Press, 1974.

Dana, Nissim. *The Druze in the Middle East: Their Faith, Leadership, Identity, and Status*. Sussex Academic Press, 2003.

Harris, William. *Lebanon: A History, 600–2011*. Oxford: Oxford University Press, 2012.

Parsons, Laila. *The Druze between Palestine and Israel, 1947–1949*. The Middle East Journal, 1999.



خامسًا: الوثائق والمصادر الإلكترونية

- مدونة الفسطاط https://efustat.blogspot.com
- وكالة سانا للأنباء (التقارير الميدانية حول السويداء، يوليو ٢٠٢٥).

- موقع الجزيرة نت – أرشيف تغطية الثورة السورية.
- التقارير الدولية حول الدروز وإسرائيل، مركز دراسات الشرق الأوسط – لندن.



فهرس الأعلام

آغا، فخر الدين الثاني –أمير درزي، يُعد مؤسس الكيان الدرزي في جبل لبنان خلال القرن السابع عشر، دخل في صراعات مع العثمانيين وتحالف مع الأوروبيين.

أرسلان، مجيد –زعيم درزي لبناني بارز، شارك في تأسيس الدولة اللبنانية الحديثة، وكان له دور في السياسة الدرزية والعربية.

أرسلان، شكيب –مفكر إسلامي (من عائلة درزية)، مدافع عن الخلافة الإسلامية، وناشط في قضايا الوحدة الإسلامية، عاش في المنفى بعد الاحتلال الفرنسي.

ابن خلدون –مؤرخ وفيلسوف مسلم، من أوائل من أشار إلى الدروز ضمن طوائف الباطنية.

ابن تيمية –فقيه وعالم سلفي، من أوضح العلماء الذين بينوا مواقف أهل السنة من الطوائف الباطنية كالدروز والنصيرية.

الحاكم بأمر الله –الخليفة الفاطمي السادس، شخصية محورية في نشأة العقيدة الدرزية، يعتقد الدروز بألوهيته.

الظاهر بيبرس - سلطان مملوكي، تصدى للمغول والصليبيين، وكان للدروز دور معارض في حملاته.

الشيخ حكمت الهجري –الزعيم الديني الأعلى للدروز في السويداء خلال فترة ما بعد الثورة السورية، انقلب على الدولة السورية الجديدة سنة ٢٠٢٥ وتحالف مع إسرائيل.

إحسان إلهي ظهير –عالم باكستاني سني، ألّف كتبًا تحليلية ناقدة للطوائف الشيعية والباطنية بما فيهم الدروز، كان من أبرز من فضح عقائدهم.

ابن سينا –الفيلسوف والطبيب الشهير، يُشار إليه في بعض أدبيات الدروز كمصدر تأويل، رغم عدم علاقته المباشرة بهم.

كمال جنبلاط –زعيم درزي لبناني، أسس الحزب التقدمي الاشتراكي، وأبرز الشخصيات الفكرية والسياسية الدرزية في القرن العشرين.

وليد جنبلاط –زعيم درزي بارز، ابن كمال جنبلاط، له مواقف سياسية متقلبة خلال الحرب الأهلية اللبنانية وبعدها.

فيليب حتي –مؤرخ لبناني مسيحي، كتب عن تاريخ لبنان والدروز ضمن سياق تاريخ المشرق العربي.

فرج الله الحلو –مفكر درزي يساري، من قادة الحزب الشيوعي اللبناني، أعدم على يد المخابرات السورية في الخمسينات.

كايس فيرو –مؤرخ درزي معاصر، كتب باللغة الإنجليزية عن تاريخ الدروز وخصوصياتهم الدينية والسياسية.

باتريك سيل –صحفي ومؤرخ غربي، كتب بإسهاب عن سوريا والدروز ضمن سياق تاريخ الدولة السورية.

روبرت بيتس –باحث أمريكي كتب أحد أهم الكتب عن الدروز بعنوان *The Druze*.

سامي مكارم –باحث درزي، ألّف كتاب *The Druze Faith* الذي يحاول فيه شرح العقيدة الدرزية من الداخل.



فهرس المصطلحات

الإسماعيلية :فرقة شيعية نشأت بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، تؤمن بإمامة إسماعيل بن جعفر وأبنائه من بعده. تعدّ الأساس الذي انبثقت عنه الدعوة الدرزية لاحقًا.

الإمام الغائب :مفهوم شيعي عن الإمام الذي اختفى وسيعود لاحقًا. لدى الدروز، تحول هذا المفهوم إلى تأليه الحاكم بأمر الله.

الباطنية :تيار فكري يعتمد التأويل الباطني للنصوص الدينية، ويُتهم بإخفاء معتقداته الحقيقية. يُستخدم المصطلح غالبًا لوصف طوائف كالدروز والإسماعيلية.

الدعوة :تشير إلى "دعوة التوحيد" الدرزية، التي بدأها حمزة بن علي في عهد الحاكم بأمر الله، وتُغلق أبوابها ولا تُفتح لاعتناق الجدد منذ قرون.

الديوان :المصطلح الذي يستخدمه الدروز للإشارة إلى الكتابات العقائدية الخاصة بهم، ويُعرف أحيانًا بـ"رسائل الحكمة."

الستة المبشرون :هم الشخصيات المؤسسة للدين الدرزي، أبرزهم حمزة بن علي ومحمد بن إسماعيل التميمي.

الحدود :في الفكر الدرزي، هم الشخصيات التي تمثل مراتب كونية وروحية تحيط بـ"العقل الكلي"، مثل السابق والتالي والناطق.

التقية :مبدأ إخفاء العقيدة خشية الأذى، استُخدم على نطاق واسع من قبل الدروز والإسماعيلية في فترات الاضطهاد.

عقال :النخبة المتدينة داخل المجتمع الدرزي الذين يُسمح لهم بقراءة كتب الحكمة ومعرفة أسرار العقيدة.

جهال :عامة الدروز الذين لا يُسمح لهم بالاطلاع على كتب الدين، ويؤمنون بالعقيدة عبر الطاعة والتسليم.

الغنوصية :(**Gnosticism**) تيار فكري ديني فلسفي قديم يتقاطع مع العقائد الباطنية، ويُقارن أحيانًا بالفكر الدرزي من حيث التأويلات الرمزية والتدرج في المعرفة.

الدرزية السياسية :تعبير حديث يشير إلى الدور السياسي الذي لعبه الدروز في لبنان وسوريا وفلسطين، خاصة منذ القرن التاسع عشر.

لبنان الكبير: الكيان الذي أنشأه الفرنسيون سنة ١٩٢٠، وساهمت فيه النخب الدرزية بشكل متباين بين القبول والاعتراض.

جبل الدروز (جبل العرب) :المنطقة الجبلية التي أصبحت المعقل التاريخي للدروز في سوريا، تُعرف اليوم باسم محافظة السويداء.

البيان والتوحيد :إحدى العبارات الرمزية المستخدمة في الأدبيات الدينية الدرزية، تشير إلى المبدأ الأعلى عندهم.

النصوص المزدوجة :ظاهرة في الموروث الدرزي حيث يُحمّل النص معاني ظاهرية وباطنية، ويُفسر بعدة مستويات.

أعداء العقل الكلي :في التراث الدرزي، هم من يرفضون التوحيد الحقيقي (بحسب تأويلهم) ويُحاربون أهل الحكمة.



انتهى بحمد الله